صدى السنين ورجع الأنين

ديوان شعر

الأستاذ الشاعر الأديب

السيد أحمد بن علي بافقيه

قدم له وصححه

محمد بن أبي بكر بن عبدالله باذيب

٨١١,٩٥٢٨
ب ا ف

(٥٢١٠

صدى السنين ورجع الأنين

□ صدى السنين ورجع الأنين

تأليف: السيد أحمد بن علي بافقيه

قدم له: محمد أبو بكر عبد الله باذيب

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

جميع الحقوق محفوظة باتفاق وعقد©

قياس القطع: ١٧×٢٤

الرقم المعياري الدولي: ISBN: ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-١٣٧-٨

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: ٢٠٣٢/٣/٢٠٠٩

دار الفتح للدراسات والنشر

تلفاكس ٠٠٩٦٢٦) ٤٦ ٤٦ ١٩٩)

جوال ٠٠٩٦٢) ٧٩٩ ٠٣٨ ٠٥٨)

ص.ب ١٨٣٤٧٩ عمّان ١١١١٨ الأردن

البريد الإلكتروني: info@alfathonline.com

الموقع على شبكة الإنترنت: www.alfathonline.com

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطي سابق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing the publisher.

صدى السنين

ووجع الأنين

ديوان شعر

الأستاذ الشاعر الأديب

السيد أحمد بن علي بافقيه

قدم له وصححه

محمد أبو بكر عبد الله باذيب

دار الفتح للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

بين أيدينا ديوانٌ لأديبٍ حَضرمي مغمُورٍ، لا يعرفُه الكثيرون، أديبٌ أحبَّ الخفاء، فعاشَ في خفاء، عاش متنقّلاً في أعمالٍ وظيفية، من شرقِ البلاد الى غربها، ذاقَ مرارة الهجرة عن الأوطان، وسافر من بلده فتى يافعاً ليكدَّ ويكدح في سبيل توفير حياة طيبة له ولعائلته بعد موتِ أبيه. كان مرِحاً، خفيفَ الظل، يستلهمُ الشعرَ من الأحداث اليومية.

وديوانُه الذي بين أيدينا يلقي الضوءَ على أسلوبه الأدبي الرصين، وبلاغته، وشاعريّته المحلقة، وصوُره الأدبية المستملحة. كما يعطينا صورةً صادقة لما كان يختلج في باطنه وفكرِه من أحاسيسَ صادقةٍ تجاهَ القضايا المصيرية للأمةِ الإسلامية، وما يعتملُ في جوفه من حُرقةٍ وأسى جراءَ الهزائم المريرة، والنكباتِ العظيمة التي نُكبت بها أمةُ الإسلام في عصُورها المتأخرة.

حسْبُ الأستاذِ أحمد بن علي بافقيه أنه أديبٌ، وصاحبُ ذوق، ولغةٍ رصينة عالية، في زمنٍ ابتُذلَ فيه الشعرُ، وابتُذلت فيه العَربية، وأصبحْنا نعاني في حياتِنا اليومية من «العُجمة»[1]، التي أصابتنا في مقتل، بسبب انتشار الشعوبية المعاصرة، وصرنا ننطق بها مكرهين مجبرين ليل نهار، حتى اعوجت ألسنتنا، واستعجمت لهجاتنا،

---

(١) أو ما يعرف في مجتمعاتنا بمصطلح: «الكَلَجة»، وهي الأخرى ـ أي: هذه الكلمةُ بحد ذاتها ـ من نتاج الشعوبية الحديثة.

وأصبحنا ننطق اللاعربية، واللاعجمية، بل لغةً (هَجينة)، في زمنٍ (الـهُجْنة) الرّسمية، والعُجمةِ المقنّنة، وأصبحَ من يتحدث الفصحى غريبا شاذا! ينظر إليه الناس باستغرابٍ وكأنه قدم من عالمٍ آخر!.

من هنا؛ نقطعُ الطريق أمامَ من يستنكرُ منّا عنايتَنا بهذا الديوان العربي الفصيح، أو بغيره من دواوين أدبائنا المتميزين سواء من أهل عَصرنا أو العصور السالفة، **فيقولُ**: وما حاجتُنا لدواوين الشعر؟ ولماذا نصرفُ الوقتَ والمال في العناية بها؟ **وأقول**: بل نحن في حاجة ماسة لهذه الدواوين، ولنشر الأدب الراقي بين صفوف شبابنا والأجيال القادمة، ليتذوقوا جمال العربية، وجمال البلاغة التي نزل بها الكتاب المبين.

ثم إني أشكر فضيلة أستاذي الأديب والمؤرخ البارع، السيد حامد بن أحمد مشهور الحداد، أحد أصدقاء الشاعر بافقيه القدامى، الذي لولا همته لإخراج هذا الديوان، وقيامه بالتواصل بيني وبين أبناء الشاعر لظلَّ هذا الشاعر وشعره في حيز الخفاء.

كما أشكر صديق عمره الحميم، الشيخ محمد بافضل، الذي لم ينسَ حقوق أخوته، ولم ينس أيام صداقته للشاعر، فاحتفظ طيلة سنوات تزيد على الثلاثين عاما بنُسخٍ من قصائد الشاعر، وجُذاذات متفرقة بخطه كانت تقع في يده فيجمعها خوفا عليها من الضياع، حتى تكون لديه أرشيفٌ لشعر صديقه الشاعر، فقدمه لنا لينشر.

إن هذا «الديوان» لم يحو كل ما نظمه شاعرنا بافقيه، بل قد ضاع الكثير والكثير من شعره، والموجود قد لا يمثل إلا نصف الديوان أو أقل من ذلك، حسبما يصرح أصدقاؤه وعارفوه، وعزاؤنا ما بقي وحُفِظَ عما ضاع وفُقِد.

هذا، وقد صُحِّح الديوان بمعرفتي، وقمتُ بمقابلة القصائد من «الكراس القديم» الذي خطه الشاعر بقلمه، وما وجدته مفرقا لدى أبنائه ولدى صديقه الشيخ محمد بافضل.

وهاهنا ... أدعُ القارئَ الكريم يتابعُ ما كتبه بطلبي أستاذنا وشيخنا العلامة السيد عمر بن حامد الجيلاني حفظه الله وهي كلمةٌ من فَيض ذكرياتٍ عاطرَةٍ مرَّت له بصحبة شاعرنا الجليل، فكلمةُ أستاذنا أبي طارق، الشيخ محمد بن أحمد بافضل، ليحدثنا عن مسيرة عمرِهِ برفقة صديقه بافقيه، وعن العلاقة الحميمة التي ربطت بينهما، و وبعدها يطالعُنا ما كتبه الشاعرُ عن نفسِه، ونقرأ بعدها مقدِّمته الرائعة حولَ الشعر العربي وفاعليّته في المجتمَعاتِ وأثرِه على النفُوس، والحمد لله أولاً وآخراً.

جدة، ظهر الأحد ٥ ربيع الثاني ١٤٣٠هـ

وكتبــه

محمد أبو بكــر بــاذيــب

مِنْ فَيضِ الذِّكْرَياتِ المكِّية

بصحبة السيدِ أحمد بن علي بافقيه

بقلم

السيد عمر بن حامد الجيلاني

الحمد لله والصلاة والسلام على خَير خلـقِ الله ومـصطفاهم، وآلـه وصـحبه ومن والاه ووالاهم.

وبعدُ؛

فإن مخزوناتِ ذاكرةِ الإنسَان مهما تنوعت صنوفُها وتعددتْ أشكالُها، ومهما جلت أو دقّت في تفاصيلها، فإن مستودعاتِ الذاكرة تتسعُ لها وتستوعبها، ويقبع بعضها في الزوايا فلا يحضُر إلا عندما تستجلبه الدواعي، وقد لا يستقر فيطمَسُ ويفقد.

ولبعضِ الناس في الذاكرةِ مكانٌ لا يعدُو عليه عادٍ، ولا يطمسُه تقادُم العهود وكرُّ الأيام، ومن هؤلاء شاعرُنا المطبوع الأسْتاذ الأديبُ النابه، السيدُ أحمد بن علي بافقيه، الذي دخل القلبَ فلم يغادرْه، وبقيتْ ذكرياتُه ماثلةً.

كان أولَ ما لقيته وأنا في أول العقْدِ الثاني من العمر، في زيارة باراس، الموسمُ

التجاريُّ والشعري الذي يعقَد كلَّ عام على مشارفِ الوادي الأيسر من دوعن، ولفت انتباهي حديثه عن شعراء البادية في هذا السوق، ومطارحاتهم ومراميهم في أشعارهم التي يرتجلونها.

وبعدَ ذلك بسنَواتٍ، تم اللقاءُ وتوطدَت أواصر المحبةِ والوُدِّ في رحابِ بيت الله الحرام في مكة المكرمة، فقد كان اللقاء بيننا يكاد يكون كل ليلة منصرفَ طلبةِ العلم قُبيلَ صلاةِ العشاء من حلقاتِ الدروس التي تُعقَد في المسجد الحرام. وكنا نتجاذب أطرافَ الحديث قُبيل الصلاة، مفترشين حصوةَ بابِ السلام، ونحن نمتع الأنظارَ بمشاهدةِ الكعبة المعظمة، في جو يقصُر التعبير عن وصْفِ سويعاته الجميلة، مع مجموعةٍ متجانسة في فكرها ورُؤاها. أذكر منهم: السيد عليَّ بن عمر الحداد، والأستاذ محمد بافضل، والأستاذ محمد بن أحمد مشهور الحداد.

كان الحديثُ متنوعا في الأدب، والعلم الشرعي، وما يجدُّ في حياة الناس، وكان ذا شجُون، ولا يخلو من تعليق ذكيٍّ، ونقدٍ هادف، وملاحظَ ينتفع بها الحضور، ونكاتٍ وطرائف وفوائد، انتظمت معها حباتُ القلوبِ في سُبحةٍ ثمينة من الإخاء الصادق والمودة. وتمت لقاءاتٌ ولقاءات .. سُداها ولحمتُها الأدبُ الرفيع منطوقاً: شعراً ونثراً، وسلوكاً: تعاملاً وتخاطباً، ويزيد اللقاءاتِ جمالا وبهاءً تشريفُ بعضِ كبار مشايخنا لها.

وكانت تلك الليلةُ الخالدة التي كان بدرُها المنير الحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف في قدمته الأخيرة إلى الحرمين الشريفين، بمنزل الأستاذ أحمد بافقيه في حي الزاهر. استرسل في حديثه الحبيبُ عبدالقادر بمنطقه العذب الزلال، عن الأدب في عهد ملوك الطوائف بالأندلس، وحظي المعتمد ابن عباد صاحب إشبيلية وفترة حكمه بالنصيب الأوفى، وأسهب في الحديث عن الأدباء الذين أحاطوا بالمعتمد،

وعن روائعهم الأدبية، وعن شعر المعتمد الذي يفيض رقة وعذوبة، ثم خلص إلى نهايته المؤلمة بسقوط مملكته ووقوعه في الأسر، وأنشد أبياته التي قالها في شموخ وهو في ظلمة السجن وذل الأسر:

لما تماسكتِ الدُموعُ ... وتنهنَهَ القلبُ الصَّريعُ
قَالوا الخُضُوعُ سِياسَةٌ ... فليَبدُ منكَ لهُمْ خضُوعُ
وألذُّ من طَعْمِ الخُضُوعِ ... علَى فمِي السُّمُّ النقيعُ
إن تَستلِبْ عنِّي الدُّنَا ... مُلكي وسلَّمني الجموعُ
فالقَلبُ بين ضُلوعِه ... لم تُسْلمِ القلبَ الضلوعُ

وأعقبها بالأبيات التي أوصى المعتمد أن تكتب على قبره:

قبرَ الغريبِ سقاكَ الرائحُ الغَادي ... حقًّا ظِفرتَ بأشْلاء ابنِ عبّادِ
نعَمْ هوَ الحقُّ حابَاني به قَدرٌ ... مِنَ السَّماء فَوافَاني بميعَادِ
ولم أكُن قَبْلَ ذاكَ النعشِ أعلَمُه ... أنّ الجبَالَ تهادَى بينَ أعْوادِ
كفَاكَ فارفُقْ بما استُودِعْتَ من كَرمٍ ... روّاك كلُّ قطُوبِ البَرقِ رعَّادِ

وأنهى كلامه عن المعتمد بما قيل فيه من مدائح ومراثي، فما أحلى تلك الليالي العلمية الأدبية في الرحاب المكية.

عندما تدير الأستاذ محمد بن أحمد بافضل مدينة جدة، تواعدت مع الأستاذ بافقيه لزيارته، واختلفنا في الميعاد، وذهب إليه وحده، وأرسل في اليوم الثاني أبياتا يعتذر فيها ويقول:

بالأمسِ كنتُم وكنّا ... والجوّ غُمَّ علينا

فكتبتُ على ظهر الورقة أبياتا منها:

ذهبنَـا نبحـثُ عَـنكُم ... وللـــشوارعِ جُبنَـــا
نـسائل النـاسَ عـنكُم ... أيـــن الأحبـــةُ أينَـــا؟
وبعـدَ جهـدٍ جَهيـدٍ ... وبعدَ أن صِرتُ مضنَى
ولم نجـدْ غَـير بُـدٍّ ... مـن التخلُّـفِ عُـذْنا
أنـتم ظفِـرتُم بفَـضْلٍ ... وطَـائرُ الـيُمْنِ غنَّـى

لحق الأستاذ بافقيه بصديقه الشيخ بافضل إلى جدة وأقام بها، وكنا نزوره مع بعض الإخوان، ولسان حالنا وقالنا ينشد:

وكنت إذا ما جئت صحبي أزورهـم ... أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

وفي إحدى قدَمات سيدِي الوالد إلى الحرَمين الشريفين، استضافَه الأستاذُ أحمد بافقيه في بيته بجُدّة، وجمعَ بينهما وبين صديقِه القديم العالم النقّاد النظّار السيد حامدِ بن أبي بكر المحضار، ورافق السيد المحضار ضيفه العالم الفقيه المفتي السيد أحمد بن محمد زبارة، وكان ذلك قبل الوحدة اليمنية بسنوات، فقال السيد حامد المحضار بحسه السياسي: التقى في هذا اليوم الشطران، فهذا مفتي الشمال، وهذا مفتي الجنوب. وكانت جلسة فقهية أدبية تاريخية تكتب بماء الذهب وقائعها.

شِعرُ الأستاذِ بافقيه:

لا أجِدُني قادراً على الحديث عن شعره والقيام بدراسته، فلست من أهل هذا الميدان، وإن كنت من المعجبين به، إلا أن المؤلم أن كثيرا من أشعاره قد فقدت.

وأذكر أنه أطلعني في بيته بمكة المكرمة على مسرحية له عن رحلة مركبة الفضاء (أبوللو) في رحلتها إلى القمر، وأذكر منها:

أمر عظيم لا يصدق		لكنـــه أمـــر محقـــق

هل ترى نصبح جيران النجوم النيرات

وإليها نركب الآفـاق ونبنـي الطرقـات

وعلى أبراجهـا العليـا نقـيم الحفـلات!

كان آخر لقاء معه قبيل وفاته وقد أضناه المرض، لكن ظُرْفه وابتسامته لم يفارقانه، رحمه الله رحمة واسعة، وأمطر على جدثه شآبيب الرحمة والرضوان.

مكة المكرمة		قاله وكتبه

٣/ ٤/ ١٤٣٠هـ		عمر بن حامد بن عبد الهادي الجيلاني

أنا ورفيقُ العمرِ

الأديبُ الشاعر السيدُ أحمد بن علي بافقيه

رحمه الله رحمة واسعة

بقلم صديقه

الشيخ محمد بن أحمد بافضل (أبو طارق)

في عام ١٣٧٢هـ قدمتُ إلى المملكة العربية السعودية، وعملتُ لدَى أحَد التجّار بمكة، وبدأت أعيشُ وسطَ غربةٍ كاملة، فلا أهلَ ولا قريبَ ولا صديق، كنت أعيشُ ليلاً في غرفة وَحيداً، ولا يوجدُ شيء من وسَائل الإعلام أو الراحة إطلاقاً، ومرّتْ حوالي ستةُ أشهر والهموم تلفني من كل جانب، لم يكن يخففها إلا سويعاتٌ أقضيها بعد المغرب حولَ حلقاتِ الدروس، والطوافِ بالبيت الحرام، حتى جمعتني صدفةٌ بالسيد أحمد.

كان هو يعيش مع رفقةٍ لا يجمعهم بها لا فكرٌ ولا علم، وكان يعيش في نفسِ الجوّ الذي غرقتُ فيه، لقيتُه أولَ مرةٍ، ولأولِ وَهلة أحسَستُ بشيء يشدني إليه، كما شعرَ هو، وتعارفنا بسرعة لا يمكن تصورها، وقد قالت العربُ قديماً: «ربّ أخٍ لكَ لم تلده أمك»، وما أجملَ هذا الأخَ إذا رزقك الله به في غُربة الأهل والوطنِ والفكر، فيجلّي الوحدةَ وينعشُ النفسَ والفكر، ويجدّد الدماء في العروق.

وهذا ما كان من صُحبتي مع رفيق الدرب السيد أحمد بافقيه!. فكلما اقتربنا؛ زاد شعورُنا بأن كلينا نعمةٌ من الله للآخر، يمدّني بالعون والتقوى، فقد كانَ نِعمَ الأخُ في الضراء قبل السراء. لقد كنا منسجمَين في التفكير والرؤى والأحلام وبُعد النظر، واستمرّت الاتصالات كلَّ ليلة، حتى أنه أحياناً يترك عمله نهاراً ويجيء إليَّ لدقائق.

وتسألني: كيفَ رأيتَ الرجل بعدَ كلِّ هذا التعارف العجيب والأخوّة الصادقة التي استمرت حوالي الخمسين عاماً بدون أي تعكير في صفو العلاقة؟. لقد كان السيد أحمد علي بافقيه رجلاً نموذجياً بكل ما في الكلمة من معنى، يتمتع بذكاءٍ خارق، وبُعدِ نظَرٍ متميز، ومواهب أدبية وشعريةٍ يعجز يَراعي عن وصفها، رجُل فكر وكلمة، بنى نفسَه بنفسه، وعلّم نفسَه بنفسه، يتدفق الشعر من فمه كما يتدفق الشلاّل بالماء العذب الزلال.

ومن نِعَم الله عليّ أنه كان معي حتى اللحظات الأخيرة من حياته، صافيَ الفكر، لا يعرف المجاملة ولا المداهنة، صريحاً في بساطة، ويُرى في أحاديثه مع أيٍّ كان واضحاً غاية الوضوح

سمع مرةً بقدوم الشيخ محمد محمود الصوّاف إلى جدة، هارباً من حاكم العراق، فقال لي: يجب أن ننزلَ ونتحدث إليه، ونعرضَ خدَماتنا المتواضعة عليه. كنتُ أراقبه وهو يتحدث إلى هذا العالِمِ الجليل، كأنه يتحدث إلى صديقٍ يعرفه من زمن، وأسهبَ في الحديث عن السياسة ومستقبلِ الأمة العربية، لغايةِ أنّ الشيخ الصواف تعجبَ غايةَ العجب من هذه الروح العربية الصادقة، وقال له: نحنُ موظفون صغار، ولكنّنا نستطيع أن نَمُدّ العون بكل ما نملك. فشكره وأكبره، وقام يودّعه إلى خارج المجلس.

ومرّت الأيامُ الجميلة ونحنُ في جوّ مشرق، ونسينا تلك الأيام السودَ التي مرّت علينا، حتى تحوّل عمله إلى الدمام، فشَعر كلانا بعَناء الفراق، كان يكتبُ لي رسالةً يوماً بعد يوم، ويشرح فيها خواطرَه وهمومه، وكان يناقشُ بعضَ الأمور في إسهابٍ عجيب، وقد تمتدّ الرسالةُ إلى سبع صفحات، مع سعةِ إطلاعٍ على كل ما يجري في العالم. كتب لي مرةً: «أما قرأتَ الرسالةَ التي وجهها السيد صَبري العسلي إلى الرئيس عبد الناصر، يشرح له الأوضاعَ المتردية التي حلّت بدولة الوحدةِ؟»، قلت: «لم أسمَع بها». فإذا به يُرسل لي صورة منها، تتألف من حوالي **١٢** صفحة.

ومرّت الأيامُ؛ حتى عاد إلى مكة، واستأنفنا سيرتَنا الأولى، وعشْنا في ربوع مكة المكرمة أياماً جميلة، ومن حُسنِ الصُدَف: أن الشيخَ عمرَ الخطيب كان في مكة، وينزل ضيفاً علي، فكانت تجمعُنا نحن الثلاثةَ لقاءاتٍ، طفنا خلالها بكلّ عَوالم الشعر والأدب، والفقه والسّيَر، وفجأةً تحوّل عملي من مكة إلى جدة. وأسِفْنا حُزناً على تلك الاجتماعات المثمرة المفيدة، والتي ربما لن تعود مرة أخرى.

و قد سجل السيد أحمد بافقيه مترجِماً أحزانه في قصيدة عصماء مطلعها:

بافَضلُ بعـدُكَ بُعـدُ ... فهَـلْ لنَـا منْـهُ بـدُّ
و في المجَالسِ نَقصٌ ... وفي الجوانح وَجْـدُ

حتى قال في آخر القصيدة:

أما أنا سَـوفَ أبـقَـى ... عـن الحـمَى لا أُصَـدُّ
لـن أبـرحَ البيتَ حـتَّى ... يـضـمَّـني فـيـه لـحْـدُ

رحمه الله رحمة واسعة.

ومرت الأيامُ؛ وإذا به يتحوّل عمله من مكة إلى جدة، وعشنا أياماً سعيدةً مليئةً بالذكريات، ونظَم عشراتِ القصائدِ التي نتجتْ بها قريحته الوقّادة، سواءً في المناسبات، أو حولَ أفكاره، وما أكثرها! وسيجد القارئُ ديوانَه زاخراً بنماذج فريدة، ومن العجيبِ؛ أنه يجيدُ النثرَ كما يجيد الشعر، ثم اشتدت عليه وطأةُ المرض، وكنتُ أزورُه في المستشفى كلّ يومٍ وهو لا يفتر، من الدعاء والاستغفار والتسبيح، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنّاته، بكَت لفراقه العيون، وجفّت الكلمات على الألسن، ولكن تَبقى الذكرى والدعاء، واليقينُ بالله بأن يجمَعنا به في جنّات النعيم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربِّ العالمين.

جدة في ٢٠ ذي القعدة ١٤٢٩هـ.

حياة الشاعر

لقد أحسن الشاعر جدا حينما كتب سطورا عن حياته بقلمه، وعبّر عن أهم مجريات حياته بأسلوب أدبي راقٍ، في إيجاز واختصار غير مخل، لكن من حق الشاعر علينا، أن نذكر ما لم يذكره وتركه من باب الاختصار، وما هو من أركان الترجمة التاريخية بالمفهوم التاريخي لا الأدبي.

فنذكر أولا نسبه الكريم:

فهو السيد أحمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن أحمد (توفي بالقرين) بن زين (توفي بالخريبة) بن علي بن زين بن علي بن حسين[1] بن عبد الله بن محمد (ت ١٠٠٧هـ) بن علي بن أحمد (باقيليد) بن عبد الله بافقيه (الأعين النساخ) بن محمد (مولى عيديد؛ ت ٨٦٢هـ) بن علي (صاحب الحوطة؛ ت ٨٣٠هـ) بن محمد بن عبد الله بن الفقيه أحمد (ت ٧٢٠هـ) بن عبد الرحمن بن علوي (عم الفقيه المقدم) بن محمد (صاحب مرباط؛ ت ٥٥٦هـ) بن علي (خالع قسم؛ ت ٥٢٩هـ) بن علوي (ت ٥٢١هـ) بن محمد بن علوي بن عبيد الله بن السيد المهاجر أحمد (ت ٣٤٥هـ) بن عيسى النقيب بن محمد الرومي بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن

---

(١) في حسين هذا؛ يجتمع الشاعر مع أستاذنا الكبير السيد أحمد بن عمر بافقيه (ت ١٤٢٦هـ) رحمه الله، راجع كتابنا: «السيد أحمد بن عمر بافقيه، من رواد الصحافة العربية في القرن العشرين»: ص٧٣، وما بعدها.

علي زين العابدين بن الحسين الشهيد السبط بن أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين علي، وابن فاطمة الزهراء بنت سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانيا؛ ترجمةُ حياةِ الشاعر بقَلمه:

«من حقِّ القارئ الكريم العلمُ ولو بقدرٍ يسير عن حياةِ صاحبِ الأثر الذي يقرأ، ويتعرف على ملامحَ من شخصيته ونشأته، ولذا أجدُ نفسي مطالَباً برَسْم بعضِ الخطوط التي تعطي القارئ فكرةً عابرة موجزة عن مسيرة حياتي .

إنني من مواليد عام ١٣٤٣ هـ، ومن وادي دوعن بحضرموت، وقريةِ (القِرَين) بالذات، ففيها وُلدت وبينَ أحضانها ترعرعتُ، وخلالَ طرقاتها وسفوح جبالها قضَيتُ أول أيام حياتي. وفي السنة الرابعة عشر من عمُري ختمتُ قراءةَ القرآن العظيم في أحد كتاتيب القرية، وبحُكم ظروفي وبيئتي كنتُ أتردّد على غرفة (مسجد القُبة)، التي هي عبارةٌ عن معهدٍ علمي ديني أسّسه السادة الأفاضل آل البار بالقرية، وأستمعُ إلى بعض الدروس الدينية التي تُلقَى على الطريقة القديمة.

ولم أبلغِ الخامسةَ عشر من عمري حتى اصطحبني والدي معه في سفره إلى خارج حضرموت، كما يفعل كلُّ الحضارم حيثُ يضربون في الأرض، ويهاجرون إلى شتى البقاع، سعياً وراءَ الرزق، باحثين عما يُقِيت أسرَهم وأبناءَهم، ويوفر لهم ما يحتاجون إليه من تكاليفِ الحياة، وكانت هجرتُه هذه المرةَ أولاً إلى (مقاديشو) بصَوماليا، ثم الحبشة، ثم (أديس أبابا) بالذات، وكان أبي في تلك الفترة يرعاني، ويعطيني بعضَ الدروس في الفقه والنحو، كما أحضرَ لي مجموعةً من كتُب الأدب والشعر لمطالعتها.

وعندما اندلعت نارُ (الحرب العالمية الثانية) عُدنا هاربين مع مجموعةٍ من

الحضارم إلى أرض الوطن، وكنتُ آنذاكَ قد بلغتُ السابعة عشر من عمري، وبعد أقلّ من سنةٍ عاد والدي إلى الحبشة، وتركَني بحضرموت، وفي هذه الأثناءِ وصلَ إلى البلاد ابنُها الغائب، الأديبُ الشاعر حسين بن محمد البار، وكان مسافراً في جبوتي ثم عدن حيث درس هناك ثم أصبح أستاذاً.

وبعد عودته بفترةٍ بسيطة، افتتح درساً في منزله بفترة ما بعد الظهر مجاناً، وانتظمت في حلقة هذا الدرس مع مجموعة صغيرة من أبناء القرية، لا تزيدُ عن ستة أفراد، وكانت الدروسُ في الفقه والنحو، وشيءٍ من كتُب الأدب، وعَلى الطريقة الحديثة.

وكنا نستفيد مما يدورُ من الأستاذِ البار وبينَ بعض رفقائه وزائريه من الأدباء، من نقاشٍ، وأذكر منهم: الأستاذَ جعفر بن علوي المحضار، الذي يأتي من (القويرة) المجاورة لقريتنا أحياناً، وفضيلة العلامة المطلّع السيد طاهر بن علوي الحداد[١]، الذي كان يتردد على قريتنا، من سكان (قيدون)، وكان يقضي الشهرين والثلاثة بين ظهرانينا، وبدأنا نأخذُ عن العلامة الحداد بعضَ الدروس أيضاً. ولسُوءِ حظنا؛ فإن هذه الحالة لم تدم أكثرَ من سنتين حيث تفرقَ الشمل، وذهبَ كلٌّ في سبيله.

وفي أثناء هذه الفترة دهمتنا مصيبة وفاة الوالد رحمه الله، شهيدَ الغربة والكفاح في سبيلنا، وكانت بـ(أرتريا) وفي قرية (عدقّيح) التي تبعد عن مدينة (أسمرة) حوالي سبعين كيلومترا. فكانت وفاته صدمةً عنيفة، وسبباً مباشراً في تغيير مجرى حياتي كليةً، الأمرُ الذي دفعني إلى السفر والاغتراب، لأحُلَّ محل ربِّ الأسرة المكونة من خمسة أشخاص.

---

(١) أفاد السيد حامد مشهور الحداد: أن للشاعر بافقيه قصيدة في توديع أستاذه السيد طاهر بن علوي الحداد عند رحيله من وادي دوعن، ولكنها فقدت فيما فقد من شعر بافقيه.

وكان اتجاهي إلى الحبشة بـ(أديس أبابا)، حيث كان يقيم بعضُ أعمامي وأقاربنا هناك، وبمساعدة المجموعة، وبما وجدتُه مما خلّفه الوالد على قِلّته، افتتحت محلاً صغيراً للبيع والشراء، وكانت النتيجةُ ـ بعد سنةٍ ـ فشلاً ذريعاً، فقررتُ السفر إلى مدينة (أسمرة)، حيث يوجد هناك عمّي الأكبر[١] وبعضُ الأقارب والمعارف. والتحقت بوظيفةٍ عند أحد التجّار العرب هناك.

وصادفَ أنه افتُتح بـ(أسمرة) آنذاك: (النادي الثقافي العربي)، افتتحَه بعضُ شباب حضرموت الموجودين هناك[٢]، مع بعض شبابِ البلاد العربية الأخرى، والتفّ حوله عشاقُ الثقافة والأدب. وكنت أحدَ أعضائه، وكانت تلقَى فيه المحاضراتُ والمناظرات الأدبية والتاريخية، وتعقد الندوات، الأمرَ الذي أتاح لنا أن نستفيد أدبياً، وأن نجدَ مجالاً لقراءة الكتب والمجلات، وعلى رأسها «مجلة الرسالة» المصرية، التي كان يصدرها الأديب العالم أحمد حسن الزيات بالقاهرة، وكان يكتب فيها فحولُ الأدباء من شتى أنحاء العالم العربي.

وبعد مضيِّ خمس سنوات بأسمرة، عدتُ أدراجي إلى حضرموت، تحدوني أشواقٌ عارمة، وحنينٌ لم ينقطع إلى أهلي وبلدي، ورُغمَ أني لا أملك إلا القليلَ القليل، وهناكَ عقدت قراني على بنت عمي، ودخلت القفصَ.

* وكانَ ما كان مما لست أذكره[٣] *

---

(١) للشاعر أربعة من الأعمام: محمد، وعبدالرحمن، وزين، وحامد. وذراريهم متوزعة بين حضرموت، والحبشة، والسعودية.

(٢) تراجع مذكرات السيد محسن بن علوي السقاف: ص١٥٩ وما بعدها.

(٣) شطر بيت لابن المعتز، وتمامه: «فظُنَّ خيراً ولا تسألْ عن الخبرِ».

وتضاعفت التبعات، وزادت المسئوليات، فغادرتُ حضرموت. وكان اتجاهي هذه المرة إلى البلد العربي الكريم، المملكة العربية السعودية، حيث عملتُ موظفاً تجارياً متنقلاً بين مناطقها الغربية والوسطى والشرقية، ثم استقرّ بي المقام بالمنطقة الغربية، وفي مكة المكرمة بالذات وجدة. وكانت عائلتي التي جلبتُها[١] من حضرموت إلى جواري، ورُزِقتُ بها البنين والبنات داخل المملكة ولا زلتُ حتى كتابة هذه السطور»، انتهى.

هذا ما كتبه السيد أحمد بافقيه عن حياته، وقد كانت وفاته وانتقاله إلى الدار الآخرة في مدينة جدة، في شهر صفر سنة ١٤٠٨هـ، رحمه الله تعالى وغفر له. وأعقب من الأولاد: علي، وحسن، وأربع بنات[٢].

* * *

(١) كان ذلك سنة ١٣٧٥هـ.

(٢) أخذنا هذه المعلومات من ابنه حسن، ومن صديقه الشيخ محمد بافضل (أبو طارق).

رثـاءُ الشاعر

شعر/ السيد عمر بن حامد الجيلاني

قيلتْ في رثاء المأسوف على فراقه، السيد الأديب أحمد بن علي بافقيه، رحمه الله، بتاريخ: ١٦/ ٢/ ١٤٠٨هـ:

أعِـزْني بيـانَـك ربَّ النظيـمْ ... وهبنـي يـراعَ القـدير الأديـبْ
كُلمْنَـا بفقـدكَ يـا ابـنَ علـيٍّ ... ورُزؤكَ أحـدثَ جُرحـاً رهيـبْ
وكـدّر صـفواً ونكّـد عيـشاً ... وأضـحَى الفـؤادُ حزينـاً كئيـبْ
بفقـدكَ عـمَّ الأسَـى في النفـوسِ ... وضاقَ الفضاءُ الوسيعُ الرحيـبْ
ولِـمْ لا وأنـتَ الـصديقُ الحميم ... وأنـتَ إلى كـلِّ قلـبٍ قريـبْ
فمـن للقـصَائد يـشْدو بهـا ... ومـن للمـدائحِ مـن للنّـسيبْ؟
لقـد كنـتَ تنظمُهـا في عقـودٍ ... مرصـعةً بالبيـانِ العجيـبْ
وتلبِـسُها حلـةً تزدهـي ... بهـا في المحافـل تَـسبي اللبيـبْ
خرائـدُ يـشهَدُها المعجبـون ... بـشعرك تلـبسُ ثوبـاً قـشيبْ
تُقـدِّمها للمقـامِ الرفيـعِ ... مقـامِ الـشفيعِ النبـيِّ الحبيـبْ
مـضيتَ أبـا حـسنٍ راضـياً ... إلى الله تـسعَى بقلـبٍ منيـبْ
تركـتَ الـدُّنا، والـدُّنا للفنـاءِ ... سـتغدو ترابـاً مهـيلا كثيـبْ

وكــــلُّ الخلائـــــقِ ســــائرة　　بـــدربِ المـــماتِ شـــباباً وشـــيبْ
ولا يـــدرأ المـــوت مـــالُ عظـــيمٍ　　ولـــيس لـــرد الحـــمام طبيـــبْ
إذا نفـــد العُمـــر حُـــمَّ القـــضاءُ　　تَعـــالى مـــنَ الأقـــربينَ النحيـــبْ
ولكنَّـــا في الهـــوَى سَـــادرونَ　　وفي الغيِّ، هـذا لعمـري غريـبْ!
كَـــأنْ لا جَـــزاءَ بـــدارِ الخلـــودِ　　كَـــأن لا عَتيـــد هُنَـــا أو رَقيـــبْ
سَـــيجمَعُنا الله يـــومَ الجـــزاء　　يكُـــونُ الخبـــير الـــسميعُ الحـــسيبْ
فطُـــوبَى لمـــن قـــدَّم الـــصالحاتِ　　فعينـــاً تقَـــرُّ ونفـــساً تطيـــبْ
أبـــا حـــسنٍ أنـــت مـــلءَ القلُـــوبِ　　وذكـــراك مـــن بيننـــا لَـــنْ تغيـــبْ

❊ ❊ ❊

كَلمةٌ عن الشِّعْر العَربي

يقولون: «الشعر ديوان العرب»، وإنه لكذلك، فالعرب أمة تهوى الأدب، وتعشق البيان، وتتذوق البلاغة، فكان من تمجيدها لفنِّ الشعر، وسمُوِّ منزلتِه لدَيها: أن اختارت بعضاً من غُرَر قصائدِ شُعَرائها، وعلّقتها على أستارِ الكعبة المشرفة، وسُمّيت بـ«المعلقات». وكانت عندهم للأدب مواسمُ تعقَدُ في بعض البلاد العربية، ويتوافد إليها كبار خُطَبائهم، وأفذاذ شعرائهم، فيخطبون وينشدون الأشعار، ويتبارون، ويتحاكمون: أيهم أبلغ وأحكم، وأيهم أقوى بياناً، وأرق أسلوباً، وأنصع ديباجة. كان هذا قبلَ أن يشرِّفَهم الله بنعمة الإسلام.

وأقبل الإسلامُ بقرآنه العظيم، ومبادئه السامية، ومثُله العليا، ورسالته الخالدة، فهذّب من طباع هذه الأمة، وقوَّم المعوجَّ منها، كما أقرَّ الكثيرَ من أخلاقها، وبارك ما اتصفت به من الخلال الحميدة، وما تحلّت به من مكارمِ الأخلاق، كما أيَّد ولعَهم بالبلاغة والفصاحة، والجيد من القول ومعاني الشعر الرفيع، فأنشِدت الأشعارُ بين يدي رسول الله ﷺ، وتبارى شعراءُ المسلمين والمشركين بحضرته، كما استمع مراتٍ إلى شعراءَ مسلمين، وطرب لأشعارهم، وأجازهم عليها، وفي الحديث الشريف: «إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا».

واستُشفِعَ بالشعرِ لدَى الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب، حيث أرسل الشاعرُ الحطَيئةُ وهو في السِّجن قصيدتَه التي جاءَ فيها:

مـاذا تقـولُ لأفْـراخٍ بـذِي مَـرَخٍ　　　زُغْبِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شجَرُ
ألقيـتَ كاسِيَهـم في قَعْـرِ مظلمَةٍ　　　فاغفِر؛ عليكَ سَلامُ الله يـا عُمَـرُ

فما كان من الخليفة إلا أن أطلق سراحَه. ونُسب إلى الإمام علي بن أبي طالب الكثيرُ من الأشعار.

وظلَّ الشعرُ متحفظاً بمنزلته، متربعاً على عرشه، إلا أنه خفّت حِدّته بعضَ الشيء، وقلَّ مفعولُه نوعاً ما بعد ظهور الإسلام، فلم يعُد بيتٌ من الشعر قديراً على أن يحطَّ من شرَفِ قبيلةٍ، أو يرفعَ من شأنِ أخرى، كما كانَ في العصر الجاهلي، وكما فعل بيت من الشعر بقبيلة نمير:

فَغُضَّ الطرْفَ إنّكَ من نُمَيرٍ　　　فَلا كَعبـاً بلغْـتَ ولا كِلابَـا

أو القولُ في قبيلةِ بني أنفِ الناقة:

قَومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهم　　　ومن يُسَوّي بأنـفِ الناقَةِ الـذّنَبا

وهو وإن بقيَ للشعراء سلطانُه مجاله المميز، إلا أن الأمورَ أصبحت تُقاس بمقاييس الإسلام، وأصبح شرفُ الإنسان ومكانةُ القبيلة تخضع لتعاليمه العادلة، ونظرته المنصفة، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

ومع ذلك؛ فقد استمرَّ الشعرُ يغشَى مجالسَ الخلفاء والملوك في العصرين: الأموي والعباسي، ويترددُ عليهم الشعراءُ فينشدونَ ويمدحون، ويتبارون وينالون الجوائز والعطايا لقاء مديحهم، أو تقديراً لجودة إنتاجهم، ويتنافسون ويهجو بعضهم بعضاً، كما قال أحدهم يهجوا الفرزدق:

زعمَ الفرزدقُ أن سيقتلُ مربعاً　　　أبشِرْ بطولِ سلامـةٍ يـا مـربَعُ

وربما لفظ بعضُهم الشعرَ في مناسبة مّا، فأثار غضبَ بعضِ الحكام، وعرَّض نفسَه للعقوبة، كما حدثَ للشاعر الفرزدق عندما تحدّى الخليفةَ الأمويَّ في الحرم المكي الشريف، أثناءَ طوافِ الإمام عليٍّ زينِ العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عندما انشقَّت صفوفُ الحجيج في رحَاب الكعبة المعظمة، لتفسح الطريقَ أمام علي ابن الحسين لكي يطوف بالبيت، فقال الخليفةُ الأمويُّ: «من هذا؟»، وهو يعرفه حقَّ المعرفة، فما كان من الفرزدق إلا أنه ابتدر قائلاً:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَه ... والبيتُ يعرفُه والحلُّ والحرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهمِ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنت جاهلُه ... بجدِّه أنبياءُ الله قد خُتِموا
فليسَ قولُك: «من هذا؟» بِضَائرِه ... العُرْب تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ

وكان العصر العباسيُّ أزهَى عصورِ الشعر العربي، حيث ازدهرت فيه الآدابُ، واصطبغت الحياة العربية عموماً بألوان من الترَف والنعيم، ففعلت فعلَها في النفوس والأذواق والمفاهيم، فانعكست جراءَها رقةً وسلاسةً وعذوبةً على فنِّ الشعر، وهذا الشاعرُ البدويُّ عليُّ ابن الجهمِ، الذي دخلَ على الخليفة العباسي وهو ما زال متأثراً بحياةِ البادية فقال يمدحُه في قصيدة مطلعها:

أنت كالكلبِ في حِفاظكَ للوُدِّ ... وكالتيسِ في قِراع الخطُوبِ

فقال الخليفة: «أسكنوه بحي الرَّصافة» ببغداد، وأغدقوا عليه، ففعلوا، ثم أدخلوه على الخليفة بعد عام، فقال:

عيونُ المهَا بين الرَّصَافة والجسْرِ ... جَلبنَ الهوَى من حيثُ أدرِي ولا أدري

أعـدن لي الشـوق القـديـم ولـم أكُـن　　سَلوتُ ولكن زدنَ جـمـراً على جَـمـرِ
خـليليَّ مـا أحـلَـى الـهـوى وأمـــرَّه　　وأعـرَفنـي بالحلوِ منـــهُ وبــالـمـــرِّ

فقال الخليفةُ معلقاً: «أردْنا لهُ أن يرِقَّ فذابَ!».

وظهر على المسرح أبو نُواسٍ، وبشّار بن برد، وعباسُ بن الأحنف، وأقبل بعدهم مجموعةٌ أخرى أغنتِ الشعر العربي، وحلّقت ما شاءَ لها الخيال، فبرز الشريفُ الرضيُّ، وأبو العلاء المعرِّي، وأبو فِراس، والبحترّي، وأبو تمام، غيرهم.

وجاء قبلَهم شاعرُ العربية الأكبرُ: أحمد بن الحسين (المتنبي)، فهزَّ الحواضرَ والبوادي، وشغل الناس والدنيا بشوارده وروائعه، وتسابق معاصروه إلى سماع أشعارِه وتقصيها، ونقدها، أو الإعجاب بها، والاختلاف عليها، حتى قال أبو الطَّيب نفسُه:

أنام ملءَ جُفوني عن شوارِدِها　　ويسهرُ الخلقُ جـرَّاهَا ويختصِمُ

وقال:

وما الدهرُ إلا مـن رواةِ قصَـائدي　　إذا قلتُ شعراً أصبحَ الدهرُ منشِدا
فسَـــار بـــه مـن لا يسيـرُ مشمِّـراً　　وغنَّـى بـــه مـــن لا يغنِّـي مفـرِّدا
أجِزني إذا أنشـدتَ شعـراً فـإنمـا　　بشِعـري أتـاكَ الـمادحُـون مـردَّدا
ودعْ كـلَّ قـولٍ غيـر قَـولي فـإنّني　　أنا الطائرُ المحكيُّ والآخرُ الصدَى

وإلى جانب هذا؛ فالشعرُ عندَهم كان بمثابةِ الصَّحافة في عَصرِنا الحاضرِ، بهِ يعبرون عن أحاسيسهم، ويضمّنونها شكواهُم، وينشرون أفكارَهم، وإن شئتَ فقُل: يعلنون عن بضائعهم، تماماً كما يفعلون مع الصحافة اليوم.

أما طريقةُ الإعلانِ آنذاك: فهي التغنّي بالشعر، أو تناقلُه من الرواة وترديده في المحافل والمناسبات، وما من أديبٍ عربي إلا وهو يعرفُ قصة ذلك التاجرِ الذي كسَدت بضاعته، وكانت مجموعةٌ كبيرةٌ من القُماش الأسود اللونِ، الخاص بالنساء، فقصد أحدَ الشعراء المجِيدين ليقولَ شعراً في بِضاعته، علَّ يسبّبُ لها بعضَ الرواج، فأجابه الشاعرُ إلى طلبه، وقال:

قولوا لصَاحبةِ الخِمار الأسوَدِ ... مـاذا فعلـتِ بناسِـكٍ متعبِّـدِ
قَد كـان شمَّر للصـلاةِ ثيابَـه ... حتى وقَفتِ له بباب المسجدِ
رُدِّي عليـه صلاتَـه وصِيامَـهُ ... لا تقتـليهِ بحـقِّ ديـنِ محمَّـدِ

فما هي إلا أيامٌ ونفذَت البضاعة، حيث تناقل شعرَه الرواةُ، وأقبلت على الشراء رَباتُ الحسن والجمال .

وجاءت عهودُ التخلُّفِ، ومرت سنواتٌ وأعوامٌ من عصُور التأخّر والانحطاط، وضعُفتِ اللغةُ، وفقدَت الكثيرَ من أسباب قوّتها ورواجِها، وكان للقرآنِ الكريم الفضلُ في حفظها من الزوال والاضمحلالِ، مهما اختفَى المتفوقون من مفكريها وشعرائها، إلا أنها ظلت تعاني من الضَّعف والقصور، فما كان لأمة أن تزدهر آدابُها وفنونُها وهي دفينةُ حياةِ التخلف والانقسام، فمشت اللغةُ والشعرُ مع الأمة جنباً إلى جنبٍ، ولسانُ حالها يقول:

وهل أنَا إلا من غُزيَّةَ أن غوَت ... غَويتُ وأن تُرشَدْ غُزيَّةُ أرشَـدِ

حتى بدأتْ في العصرِ الحديث بوادرُ نهضةٍ أدبية، وبدأت الحياةُ والانتعاش تدبُّ في أوصالِ اللغة، وبدأ الشعرُ يستعيدُ شيئاً من قوّته، ويتبوّأ مقاعد افتقدها.

وكان الأديبُ الكبيرُ، والشاعر المعروف، الضابط المصريُّ محمودُ سامي البارودِي في طليعَةِ من حملوا رايةَ النهضة الأدبية الحديثة، إن لم يكن أولَ من أعلنَ عنها، واقتحم بها ميادين الجهل:

أنا مَصدرُ الكلمِ البوادِي	بينَ المحاضِر والبَوادي
أنا فارسٌ أنا شَاعرٌ	في كلِّ ملحمةٍ ونادِي
فإذا ركبتُ فإنني	زيدُ الفوراسِ في الجِلاد
وإذا نطقتُ فإنّني	قُسُّ ابن سَاعدةَ الإياديّ

[وقال]:

يقول أناسٌ إنه السِّحرُ ضلَّه	وما هي إلا نظرةٌ دونَها السِّحرُ
ولو كانَ مما يستطاعُ دفاعُه	لألوتْ به البيضُ المبَاتيرُ والسُّمرُ
ولكنه الحبُّ الذي لو تعلَّقتْ	شرارتُه بالجمرِ لاحترقَ الجمرُ

وأقبل شوقي وحافظ؛ وافتتحَ شوقي أجواءَ جديدةً، ومجالات رحبة في عالم الشعر، فقالَ في التاريخ، والقصة، والسياسة، والغزَل، وبرع في أسلوبِه، وبلاغة ورقّةِ وحُسنِ ديباجته، وروعة معانيه، فلنستمعْ إليه إذاً في مطلعِ قصيدةٍ في ميلاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

وُلدَ الهدَى فالكائناتُ ضِياءُ	وفَمُ الزمانِ تبسُّمٌ وثَناءُ

وفي السياسة:

يا ابنةَ اليمِّ مَا أبوكِ بخيلٌ	ما لهُ مولعاً بمنعٍ وحَبسِ

أحـرامٌ عـلى بلابلِـه الـدَّوحُ حَلالٌ للطيرِ من كـلِّ جِـنسِ
كـلُّ دارٍ أحـقُّ بالأهـلِ إلا في خبيثٍ من المذاهبِ رجْسِ

والغَزَل:

صُــوني جمالَــكِ عنَّــا إننَــا بــشرٌ من الترابِ وهذا الحسْنُ رُوحاني
أو فــابتغي فلَكــاً تؤتينَــهُ ملِكــاً لم يتخِــذْ نَــسباً في العــالمِ الفَــاني

وامتدت النهضة الحديثةُ إلى سائر أنحاءِ العالم العربي، فإلى جانب شُعَراءِ مصر، ظهرَ شعراءُ متفوقونَ في العراق والشام والجزيرة العربية، فالمغرب العربي.

وبرزَ شعراءُ المهجر العربي، فأدلوا بدلْوِهم، وساهمُوا بنماذجَ من الشِّعر العربي، تفيضُ رِقَّةً، وتنساب عذوبةً وجاذبية، وكان منهم: إيليا أبو ماضي، الشاعرُ الرقيقُ المتفائل، القائل:

أيهـا المـشتكِي ومـا بـكَ داءٌ كيف تغدو إذَا غدوتَ عليلا
إن شرَّ النفوسِ نفسٌ يئـوسٌ تتمنَّى قبـلَ الرحيـلِ رَحـيلاَ
والذي نفسُه خلتْ من جَمالٍ لا يرَى في الوجُودِ شيئاً جميلا
أيهـا المـشتكِي ومـا بـك داءٌ كُن جَميلاً ترى الوجُودَ جَميلا

واصطبغت الحياةُ الشعرية بصبغةٍ زاهيةٍ ورقيقة، تجذبُ السامعَ، وتهز الوِجدان، وتحركُ وتثير العواطفَ والأحاسيس، ودخلت على الشعر بعضُ المفاهيمِ الجديدة، والتعابيرِ والمصطلحاتِ الحديثة، فلم يعد أحدٌ يقولُ: «إن الشعرَ هو الكلام الموزون المقفّى»، ولم يَعُد يلتزمُ أحدٌ بقاعدةِ:

* إذا كانَ مدحاً فالنَّسيبُ المقدَّمُ *

وأصبحَ الشعرُ يقوَّم بما تضمّنه من معاني بليغة وتعابير منسجمة، وما يتركه بنفس السامع من التأثر والانفعال، حتى قال أحدُ الشعراء المعاصرين:

الشعرُ من ذَوبِ القلُوبِ لفائفٌ　　　مَـا الـشعرُ تقطيـعٌ ولا أوزانُ

وقال محمود طه:

الشعرُ عنديَ نفْحةٌ عُلْويةٌ　　　وشُعاعُ كأسٍ لم يقبِّلْهَا فَمُ

ولا يحسبنَّ قارئي الكريمُ أنني من دُعاةِ الشِّعر الحر، أو القائلين بإلغاءِ القَافية أو الوَزنِ أو التَّفاعيل، فتلكَ ـ في نظَري وحسَبَ علمي ـ من لوازمِ الشعر العربي، فهي أصيلةٌ في أدَبنا، نابعةٌ من صَميم بيئتنا، معجونةٌ بتراثنا الشعري، ولو افتقدناها لافتقدنا الكثير من مقومات شعرنا، مثل رنين الشعر وجرسه، وإيقاعه وموسيقاه، ولاختلط علينا الحابلُ بالنابل، والنثرُ بالشعر، كما هو حاصلٌ اليومَ ومشاهَدٌ ومقروءٌ في أكثر ما يطلقون عليه الشعرَ الحر!

فلا هو بالشِّعر ولا هو بالنَّثر، بل ولا هُو من الكلام! لأنه جُملٌ غيرُ مفهومة، وعباراتٌ لا يعرفُها غير كاتبها، بل ما أشبهَ بعضَ هذا الشعر الحرِّ وألفاظِه وأسلوبه ومعانيه، ما أشبهَه بالمصَارعة الحرة مع بعضها، فهي كلماتٌ متنافرة، وجمل متضاربة، «والمعنى في بطن الشاعر».

هذا؛ إذا نحن أسقطنا عنها التهمة التي اتُّهم بها بعضُ كتابِ العربية ورجالاتها، وهي: سوءُ نيّة بعض الداعين إلى هذا اللون من الأدب، فهم إلى جانب الدعوة إلى هذا النمط في الشعر ينادُون باستعمالِ اللغة العامية الدارجة والخاصة بكل قطر عربي، وينادون بإبدالِ الحروف العربيةِ بالحروف اللاتينية، والهدفُ الأساسي لهؤلاء هو:

الكيدُ للغة العربية عموماً، وللإسلام خاصة، وبذلك تنهارُ اللغة وتضيع، وتتفرَّقُ الأمة الواحدة، فتفقد تراثها وتاريخها على المدى القريب أو البعيد، وتخسَر فيهما، وتصابُ في إسلامها الذي هو حياتُها ومجدها وماضيها وحاضرها ومستقبلها.

وبعدُ؛

أما آنَ لأصحابِ لغة القرآن ـ وفيهم جهابذةُ البيان، وفطاحلُ البلاغة ـ أن يغضبوا ويقفوا بحَزمٍ في وجه من يحاربون لغة القرآن!.

أما آنَ لنا ـ نحنُ العرب ـ أن نحافظَ على لغتنا وننقّيها مما علق بها من دخيلِ القول وغلط التعبير، وندفعَ عنها بحقٍّ ما يريدُ البعضُ أن يصمَها به من القصور والضعف، زوراً وبهتاناً، وجحوداً وعدواناً.

ونزيلَ عن أذهان بعضِ إخواننا وأبنائنا هذا الوهمَ، بل هذا الجهلَ، الذي يجعله يرفعُ عقيرته اعتزازاً، لأنه يطعِّم لغته العربيةَ بألفاظ أجنبية، وهذه الأسماءَ والعناوينَ على واجهاتِ المحلات والمتاجر والمكاتب!

أما آنَ لنا أن نردَّها إلى أهلها، ونصيِّرها إلى أوطانها التي هاجرت إلينا منها، أو ننفِّذَ فيها حكمَ الإعدامِ داخلَ أوطانِنا! وننقذَ لغتَنا المجنيَّ عليها من دسَائسِ المعتدينَ وكيد الكائدين.

أحمد بن علي بافقيه

وَرقةٌ إلى القَارئ[١]

يـا قَـارئي مـاذا تظنُّـكَ قارِئـاً … أتُـرَى تطَـالعُ مقطعـاً أدبيَّـا
مهـلاً فـما في دفَّتـي هـذا الكِتَـا … بِ مـن الإثـارةِ مـا يـوفِّر رِيَّـا
بيضٌ من الصفحاتِ سَوَّدَ لونَها … قلمِـي فجـاء جريـرةً خطيَّـا
مـا كـان أحْـرَاني بـأن أدعَ الخيـا … لَ وأن أفكِّـرَ في الأمُـور مليَّـا
يـا قَـارئي هـذا خَيـالُ مولَّـهٍ … عشِقَ المحاسـنَ منذُ كـان صَـبيًّا
ومـضَى إلى عَـرضِ الحيَـاةِ مـيمِّماً … بلَـداً قريبـاً تـارةً وقَـصيًّا
يهتـزُّ للفعْـلِ الجميـلِ تـأثراً … ويـرَى المـروءة مبْـدءًا قدُسـيًّا
سـتراهَ مـا بـينَ الحـروف كنفْـسِه … شـفافةً مُتَسـامحاً عفْويَّـا
مـا كنـتُ يومـاً ناكِثـاً عهْـداً ولا … متزلِّفـاً وغْـداً ولا سَـلْبيا
أهوَى الوضُوحَ ولا أطيقُ خَلائقاً … أصـحابُها يتهامَسُونَ نجيَّـا
والفـنُّ أمقتُـه وبـينَ جَـوانِحِي … يجِـدُ الحسودُ عـدوَّه الأبَـدِيَّا
ولقد بلوتُ من الزمـانِ صرُوفَـه … وعرفتُـه سـهلَ القيـاد رخيَّـا
ورأيتُ من طبعِ النفوس عَجائبـاً … وغرائبـاً تـدَعُ الخلـيَّ شَـجيًّا
ولكَم وفيتُ وما وفَى لي بَعضُهم … ولكم زرَعْتُ وما حصدْتُ جنيًّـا

---

(١) نشرت بالملحق الثقافي بجريدة المدينة المنورة.

أسلمتُ نفسي مَوطني وعقيدَتي ووهَبْتُ قلبي راضياً مرضيًّا
إني شديدُ الاعتزازِ بأمّتي أرعَى هواهَا بكرةً وعَشيًّا
مهما تكاثرتِ النوائِبُ حولَها إني أرَى تاريخَها أزليًّا
لا أنتمي لسِوَى العروبةِ وُجْهةً أنا لستُ شرقياً ولا غرْبيًّا
أنا من ثَرى هَذي الجزيرةِ تُربتي هِيَ أنبتتْني مُسْلماً عربيًّا
وإذا ذهبتَ إلى منابع جَدولي تلقَى هُناكَ محمداً وعليًّا

* * *

المديح النبوي

في رِحَابِ رسُولِ الله ﷺ

هذِه بعضُ الأحاسيسِ التي أوحَتْ بها زيارتي للمدينة المنورة على صاحبها أفضلُ الصلاة وأزكَى التسليم، وذلك عام ١٣٩٨هـ:

أنــا يمّمْــتُ ســاحةَ المختــارِ ... والهـوَى كـان رائِـدي وشِـعاري
جئتُ أسعَى بعـد انقطـاعٍ ونـأيٍ ... وقُـصورٍ وبعـدَ طُـولِ انتظـارِ
جئـتُ أسـعَى وطالمـا أقعَـدتْني ... عن مغَاني شَـمسِ الهـدَى أوزاري
جئتُ أسعَى رُغْمَ الصِّعابِ وأقبلْـ ... ـتُ بـأهلي وأسرَتي وصِـغاري
نرتجـي نفحـةً تهُـبُّ مـع الفَجـرِ ... علينــا مــن حَـضرةِ الأنــوارِ
تــدعُ الجـدْبَ في حمانــا رياضـاً ... حفِلـــتْ بـــالثمارِ والأزهَـــارِ
وتحيـلُ الإعْـراضَ هَـدْيا وإقبَـا ... لاً وفيـضاً مــن غيثِهـا المـدرارِ
لـيسَ إلا أبَـا البتُـولِ لنـا بيــ ... ـنَ الـورَى خـيرُ أسـوةٍ ومنَـارِ
وإذا ضَـاقتِ الـدروبُ تلمّــسـ ... ـنَا طَرِيقـاً مـشَاهُ مَـولى الغـارِ
وإذا أظلمــتْ وطالــتْ لياليــ ... ـنَا فمِـن هاهُنـا طلـوعُ النهـارِ
هــذه طيبــةٌ فطــوبَى لمــن ألــ ... ـقَى عـلى أرضِـها عَـصا التَّسيارِ
فــدعُوني في سِــحْرِها أتمــلّى ... وأنَــاجي روائــعَ الآثَــارِ
وأحيِّــي مــشاهداً يقــفُ التّــا ... ريـخُ مِنهـا مواقـفَ الإكبـارِ
صــورٌ مــن محمَّــدٍ ومــن الآ ... لِ تــراءَى وصــحبِهِ الأخيــارِ

وَمجــالاتُ ذكرَيــاتٍ مُــضِيئا ... تٍ مِــنَ التّــضحياتِ والإيثَــارِ

شهدَت (بَدرُ) من عُلاهَا فصُولاً ... وأفــانينَ مِــن ضُروب الفَخــارِ

وروَى (الخنـدَقُ) العظيمُ ووارَى ... قِصَــصاً مِــن روائــعِ الأخبــارِ

يومَ جاءتْ قُريشُ في غزوة الأحـ ... ـزَابِ تزهُــو بجَحْفَــلٍ جَــرَّارِ

وأتَــى في الجمُــوعِ عمْـرُو ابـنُ وُدٍّ ... فــارسُ المــشركينَ والأشْرارِ

وطغَــى جمعُهــم وصَــال وغَــالى ... عَمْــرُهم في النكــير والإنكَــارِ

فرمَــاهُم محمَّــدٌ بِعَــليٍّ ... وحبــاهُ بــسَيفهِ ذي الفقَــار

فمضَى مُسْرِعاً وكَرَّ عـلى القـومِ ... وأعظِــمْ بحيــدرِ الكَــرَّارِ

وهــوَى سيفُه فجنـدلَ عَمْــرواً ... وجَلاهــا قبــلَ انجــلاءِ الغُبــارِ

هــذه طيبــةٌ بنَفــسي ثَراهَــا ... ودِيــاراً بهَــا وأهــلُ الــدّيارِ

بلَــدٌ طيّــبٌ ورَبٌّ غفُــورٌ ... وحبيــبٌ يرعَــى حقُــوقَ الجــارِ

❊ ❊ ❊

أمامَ الحجُرة الشّريفة

في إحدى زياراتي للمدينة المنورة، وأولها في أثناء زيارتي للقبر الشريف والحجرة المحيطة به، ربيع أول ١٤٠٢ هـ:

دَعنــي أحيِّــي هــذه الحجُــراتِ	وأشُــمُّ مــن أنفاسِــها العَطِــراتِ
مُــستقبلاً نفحاتِهــا مَــسْبوقةً	بأريجهــا مــن كــلِّ صَــوبٍ آتِ
وأمــرِّغُ الخــدَّينِ والــشَّفتين بـــ	ـــينَ تُرابهــا وأقبِّــلُ العتَبــاتِ
دَعنِـي أهـدّئُ روعَتـي دَعنِـي أبُـو	حُ بلـوعَتي دعنِـي أبـثُّ شِـكاتي
فلطالمــا لعِــبَ البعــادُ بمُهجَتــي	وأســالَ مــن آلامــه عَــبَراتي
ولكـم تمنيـتُ الوقـوفَ عـلى ثَـرى	هــذي الربــوعِ مــردِّداً نغَــماتي
مــتَرنماً مترنِّحــاً متوسِّــلاً	متــزوِّداً بــالخيرِ والخــيراتِ
فرِحــاً تجــاذِبني المــشَاعرُ آمِنــاً	لا أشــتكِي مــن حــاضرٍ أو آتِ
وهنـا يطيـبُ لي المقـام وفي الحمَـى	هــذَا أحقِّــقُ غايــةَ الغايــاتِ
فهنا الهدَى وهنا النّدى وهنا الرِّضـا	وهنــا جِمــاعُ الحــسنِ والحــسناتِ
وهنا الثرَى الغالي، هنا الخلق العظيـ	ـيمُ هُنـا هنَـا منِّـي عـلى خطَـواتِ
مثوَى أبي الزهرا، فيـا نفـسُ الزميـ	ـهِ وأعلنِـي المكنـونَ مـن صـبواتي
وتطهَّــري وتهلّــلي وتــوجّهي	وخذِي الطريـقَ إلى شَريـفِ الـذاتِ

واقرِي السلامَ عليه يتلُوه السلا … مُ وواصلِي الصلواتِ بالصّلواتِ
وقِفِي وقوفَ الخاضعينَ الخاشعيـ … ـنَ وردِّدي ما شئتِ من دعَواتِ
واستغفِري الله العظيمَ تجاهَه … تجِدِي رحيماً يقبلُ التوباتِ
أما الوفاءُ بحقّه فأمامَه … سدٌّ من الكبواتِ والعقَباتِ
هذا مقامٌ لا يطيقُ بلوغَه … سِحرُ البيانِ ولا القريضُ يُوَاتي
وأرى يراعِي عَاجزاً يشكو المرَا … رةَ رُغمَ ما أوتيه من قدُراتِ
فلكم أقاد شوارِداً ولكم أجا … دَ قَلائداً حلّى بها الصفحاتِ
لكنّ قدرَ محمّدٍ أعلى وأغـ … ـلى أن تفيه بلاغةُ الكلماتِ
ماذا يقولُ القائلونَ وقَد أتَى … تعظيمُه في محكَمِ الآياتِ
هل بعدَ قولِ الله قولٌ لامرئٍ … أو نُورِه شيءٌ سوَى الظلماتِ
يا صاحبَ الخلقِ العَظيم ويا إمَا … مَ المرسلين وسيدَ الساداتِ
إنا أتينَا والقلوبُ يشوقُها … حبٌّ وآمالٌ وشوقٌ عاتِ
وتولعٌ وتطلعٌ وتعلّقٌ … وتعرّضٌ لهواطلِ النفحاتِ
إنا ظِماءٌ يا حَبيبي قد عرَى … آفاقَنا جدبٌ وطُولُ سِناتِ
يا ويحَها ستظلُّ رهنَ جفَافِها … إن لم يصِبها وابلُ الرحماتِ
ويعمّها غيثُ القبولِ بماطرٍ … يحيِي من الآمالِ كُلَّ مواتِ
ونَعودُ بالغُفران ننعَمُ والرضَا … وبطيّباتِ القُربِ والقرُباتِ

* * *

من وحْي ذِكرَى المولدِ الشّريف[1]

ألقيت في حفلة المولد النبوي الشريف التي يقيمها السيد الجليل الحبيب عبد الله بن حامد البار، بمنزله بجدة يوم: ٨/ ٣/ ١٤٠٢هـ:

أيُّ نُـورٍ بـدَا قُبيـلَ الـصّباحِ ... يترامَـى عـلى الربَـى والبطَـاحِ
أي فَجـرٍ أنـسامُه عطـراتٌ ... تتهـادَى في جيئـةٍ ورَواحِ
فتُحيـلُ اليبـابَ روضـاً مَريعـاً ... وروًى مـن بنفْـسَجٍ وأقَـاحِ
أيُّ صوتٍ عذْبٍ شجيٍّ المعَاني ... عبقَـريٍّ الإيقَـاعِ والإفـصَاحِ
رددتـه شـعابُ مكَّـةَ في شَـو ... قٍ فعَمَّ الصدَى جميعَ النّـواحِي
إنّـه أحمـدٌ يطـلُّ عـلَى الكـو ... نِ فـسُبحانَ فـالقِ الإصـباحِ
فاشهَدي يا سـماءُ مـيلادَ تاريـ ... ـخٍ وميدِي يا أرضُ بـالأفراحِ
واهتِفي للجَـمال للحـقِّ للإيـ ... ـمانِ للعَـدلِ للـضّياءْ للفـلاحِ
وانعَمـي في ظِـلالِ دَعْـوةِ طَـه ... بالـذي تحلُمـين مـن إصـلاحِ
دعـوةٌ بـاركَ الإلـهُ خطَاهـا ... فأضِـيئَتْ لهـا دروبُ النّجـاحِ
ومشَتْ في الوجُود تقتلِعُ الظلـ ... ـمَ وتُلقيـهِ في مَهـبِّ الريـاحِ

(١) في كراس آخر عنونها الشاعر بـ«تحية المولد».

ومنها(١):

بِـأبي ذلـك الوليـدُ ومـا شَـ ـبَّ عليـهِ مـن النّـدى والسّماح
وبنَفـسِي مراتِعـاً كـان يرتَـا دُ جِماهـا بـينَ المسَا والصباح
في ظـلالِ البيـتِ العتيـقِ ومـا بيـ ـنَ الصفا والنقا وبعضِ النّواحي(٢)
وبـشِعبِ الحجُـونِ حينـاً وفي غَـا رِ حِـرَا تَـارةً ودربِ البطَـاح
وكـأني بـشَيبةِ الحمـدِ يوليـه مـن الحـبِّ مـا يُغـيضُ اللاحِـي(٣)
هـذه هَـذهِ مرابـعُ طَـه هـل عَـلى مـن أحبّهـا مـن جُنـاح
أنـا أهـوَى سـهولها ورَوابيـ ـها ومـن تُربهـا أداوِي جِراحِـي
وإذا مـا ظمئـتُ هيهـات يرويـ ـنِي سـوَى مائِهـا الـزلالِ القَـراح
أنَـا في حُبهَـا أسـيرٌ قَـديمٌ قَيـدُه واثِـقُ العُـرَى يـا صَـاح
وسـأبقَى عـلى هَواهَـا ولا أمـ ـلأ إلاّ مـن نبعِهَـا أقْـداحي(٤)
يـا نبـيَّ الهـدَى وغيـثَ الـبرا يـا، يـا طبيـبَ القلـوبِ والأرواح
عَظُم الخطبُ والعِدَى أخَذُوا الأمـ ـرَ عـلى المسلمينَ في كـلِّ سَـاح(٥)

---

(١) في النسخة الأخرى لا يوجد فصل بين الأبيات المتقدمة والمتأخرة.

(٢) في النسخة الأخرى جاء هذا البيت مفكوكا إلى بيتين، هكذا:

في ظـلالِ البيتِ العتيقِ وفي زمـ ـزم يحسو من مائها خير راح
وجوار المقـام أو في المصلـى والصفا والنقا وبعض الضواحي

(٣) في نسخة أخرى: «من الحب كل قدر متاح».

(٤) هذا البيت لم يرد في النسخة الأصل.

(٥) جاء هذا البيت في النسخة الأخرى هكذا:

عَظُم الخطبُ والعِدَى ملكُوا الأمـ ـرَ وصَالُـوا في كُـلِّ نـادٍ وسَـاحِ

وتركْنَا حُكمَ الكتابِ ومَا أنـ ـزِلَ فيه وما أتَى في الصِّحَاح
وغدَونا مستضعَفينَ أذِلاَّ ءَ مُباحينَ في حمانَا المبَاح
وغَدا بأسُنا - فرُحماكَ رَبي - بيننا، عاصِفاً كهُوج الرياح
فعسَى نفحةً بجاهِك تهديـ ـنَا ونَمضِي إلى طريقِ الفلاح

* * *

شُدَّ الرِّحالَ

٢٠/٨/١٤٠٢هـ:

شُدَّ الرِّحالَ إلى النبيِّ «محمَّدِ» ... وجِوارَ حجرَتِهِ اعتكِفْ في المسجِدِ
واطْوِ الهوَاءَ على بِسَاطٍ يسْتَمـ ... ـدُّ وقودَه من شَوقِكَ المتوقِّدِ
وإذا هبطتَ على المطارِ بـ«طَيبةَ» فاهْـ ... ـتِفْ وصلِّ على النّبيِّ وردِّدِ
والثُمْ ثرى «أرض المدينةِ» خاشِعاً ... وإلى أهالِيهَا الكرامِ تَودَّدِ
وتولَّ متّجِهاً إلى «حَرمِ الرسُولِ» ... وصَلِّ في ذلٍّ لربِّكَ واسجُدِ
وانهضْ إلى مثوَى «الحبيبِ» وقُل لَه ... أنا عائذٌ أنا لائذٌ يا سَيِّدي
أنا في مقامِ المعوِزينَ وفي محطِّ السَّـ ... ـائِلينَ أظلُّ ممدُودَ اليَدِ
حتى أنالَ رضَاكمُ ونَداكمْ ... وأعُبُّ من هذا الخضمِّ المزبِدِ
أنا في الحمَى المأمونِ يا ربَّ الحمَى ... أنا ضيفُكم أنَا في رحَاب «محمَّدِ»
منُّوا عليَّ بعطفةٍ أو نظْرةٍ ... أمسي بها منكُم قريبَ المقعَدِ
أحظَى بنُور جَمالكم وبِه أرَى ... وبه أسيرُ على الطريقِ وأهتَدي
وبه أداوي علّتِي وأبُلُّ صا ... دِي غَلّتِي؛ وبهِ أعيدُ وأبتدِي
وأهيمُ في أجوائِه ورياضِهِ ... وتذوبُ رُوحِي في جلالِ المشْهدِ
إني أحنُّ إلى منازلِ سَادةٍ ... أوتُوا مفاتيحَ الهدَى والسؤدُدِ

وأنـوحُ مـن ظَمَـأ لطَعـمِ شَرابِهـمْ ... فـشرابُهم يـا صـاحِ عَـذبُ المـوردِ
ويـشدّني للقبـةِ الخـضرا هَـوًى ... ولنورِهَـا المتـوهّجِ المتجـدّدِ
أنـا مَـن أحـبَّ! فليـت مـن أحببتُـه ... يحنُـو عـلي بـزَورةٍ أو مَوعـدِ
فـإذا ظفـرتُ بـه فحَـسبي مَغْـنماً ... عن كـلِّ مـا أرجُـو ليَـومي أو غَـدِي
هـو مطلَبـي المنـشودُ والأمَـلُ الـذي ... لا شيءَ عنـه في البـسيطةِ مُبعِـدي
لا زينـةُ الـدُّنيا وبهجتُهـا ولا ... الحـسناءُ صـاحبةُ الخـمارِ الأسْـودِ

❊ ❊ ❊

تَحيةُ المولِد النَّبوي

تحية المولد النبوي الشريف؛ ٨/ ٣/ ١٤٠٤هـ ألقيت في حفلةِ المولد النبوي الشريف بمنزل الحبيب عبد الله بن حامد البار:

بظِلِّ ربيعٍ روضُه عطّرَ الأجواءْ ... وحيثُ يناجِي ذُو الهوى طيفَ من يهوى
«شَربْنَا على ذكْرِ الحبيبِ مُدامَةً» ... فكانتْ لنا أحلَى من المنِّ والسَّلْوى
وطافَ بِنا رُوحُ المدينة عَابقاً ... وريحانُها عطْراً فَطِرنَا به نَشْوى
وهِمنا بذاكَ السفحِ من ذلِكَ الحمَى ... ومن حلَّ فيهِ لا بـ«هندٍ» ولا «نَجْوَى»
وهل غيرُ ذكرَى «أحمدَ» يالَ أحمدٍ ... وعشّاقِه أحرَى بأن تبعثَ الشّجْوا
يغالبُنا داعِي الحنينِ لطيبَةٍ ... فنرسلُه شِعْراً إلى ذلكَ المثْوَى
قصائدَ تحكي همّنا وهمُومنا ... وتصدَحُ في شوقٍ وتجأرُ بالشكْوى
إليكَ رسُولَ الله في يومِكَ الذي ... تقاسمتِ الأيامُ من نُوره الأضْواءْ
إليكَ رَسُولَ الله في يومِكَ الذي ... أفاضَ على أيامِنا الفخرَ والزهوَا
وتاهَتْ به أم القُرَى وشِعَابُها ... على حاضِراتِ المشرِقَينِ ولا غروَا
وهلّتْ تباشِيرُ النبوّةِ تغْمُر الـ ... ـبِلادَ وإرهاصَاتُها تملأُ الأجْواءْ
ودبّ الفَنا في مُلْكِ كسْرَى وقيصرٍ ... وآنَ لِزرْعِ الظُلْمِ والبَغْي أن يذْوَى
إليكَ رَسُولَ الله نشكُو نفوسَنا ... وسُودَ ليالينا وواقعَنَا الأسْوأْ

فقــد نفثَــتْ فِينَــا الــدنَايا ســمُومَها … وألــوَتْ بنـا الأطـماعُ والفـنُّ والأهْـوَاء
وأبْـــصَر كـــلٌّ في أخيـــهِ وجـــارِه … عــدُواً فيَــاللهِ مــا أعظَــمَ البلـــوَى
وسِرنــــا إلى آجالنــــا وصــــفُوفِنا … سِراعــاً وكُنّــا للعــدُوِّ كــما يَهــوَى
شُــغِلْنا وإسْرائيـــلُ تحتـــلُّ قدسَـــنا … بأنفــسِنا فــالحربُ مــا بينَنــا شَــعْواءْ
ألا نَــسمةٌ تحيِــي الــرميمَ وتــبرِئ الــ … ـسّقِيمَ وتُنهــي حالــةَ التّيــهِ والــلأواءْ
وتجمــعُ مــن بعــد التفــرقِ شَــمْلنا … ألا نفحــةٌ يمْــسي بهــا غَيمُنـا صَـحْوا!
ألا رحمــةٌ يَــا مَــنْ وجــودُكَ رحمــةٌ … ألا نظـرةٌ مـن عَـالِمِ الـسِّر والنجْـوَى
حبيبِــي رسُــولَ الله! هَــذي تحيتِــي … فيا ليتَ شِعْري هلْ علَى رَفعِها أقـوَى؟
ولي كـــلَّ عـــامٍ في رحابِـــكَ وقفـــةٌ … أردّدُ مــا أرجُــو عــلى قولِــه العفــوَا
أقـــولُ وأبـــدي في هَـــواكُم وادّعـــي … وهلْ لأسيرِ الذّنْبِ أن يُصدِقَ الدعْوَى؟
وأنّـــى لـــه الإفـــلاتُ مِـــن سَـــيِّئاتِه … وأيــن يــوارِي ذلــك اللغــوَ واللهْـوَا؟
إذا لم تكُــنْ في صُــورة الحــبِّ صــادقاً … فــلا خَــير في مــا تدّعيــهِ ولا جَـدْوَى
ومــا «**مولِــدُ المختَــار**» حفــلاً نقيمُــه … فحــسْبَ ونُزجــي في موائــدِه الحلــوَى
ولا مَهرَجانـــاتٌ بكـــلِّ محلّـــةٍ … ولـــيسَ أناشـــيداً ولا قِـــصّة تُــروَى
ولا هـــو ضربٌ مـــن قـــريظٍ منمَّـــقٍ … نراعِي به الإعـرابَ والـصرفَ والنحْـوَا
ولكنّـــــه في ذَاتِـــــهِ وصِـــــفاته … دروسٌ مــن الأخــلاقِ والــبرِّ والتقــوَى
نطـــالعُ فيهَـــا مـــن تعـــاليمِ «**أحمـــدٍ**» … ونأخذُ عنـهُ الرشـدَ والنـصْحَ والفتـوَى
ولكنـــــه دربٌ مَـــــشاهُ «**محمّـــــدٌ**» … وأصـــحابُه الله غايتُـــه القُـــصْوَى

❊ ❊ ❊

حَبِيْبِي رَسُولَ الله !

وصل الشاعر للمدينة المنورة آخر رمضان من عام ١٤٠٤هـ، وتشرف بالزيارة والسلام على رسول الله ﷺ، ثم ألمتْ به وعكةٌ حالت بينه وبين التمتع بالزيارة والجلوس والصلاة بمسجد رسول الله ﷺ، كما تأثر ابنه «حسَن» وظهر أن عنده الدودة الزائدة، الأمر الذي أضطره للسفر بسرعة إلى (جدة) ٣ شوال، وإجراء عملية جراحية لابنه كللت بالنجاح، ولله الحمد:

حبيبي رَسولَ الله ضَاقتْ بي الحيلْ ... ولكنّني في الله لم أفقدِ الأمَلْ

وقد جئتُ يحدُوني الرجاءُ لأزورَكُمْ ... وألقِي بأثقالِ الحمُولةِ والجمَلْ

على هذه الأعتَابِ أطرحُ حَاجتي ... وأغمُرُها بالشَّمِّ والضمِّ والقُبَلْ

ووالله ما حُبُّ الديارِ ملكْنَني ... ولكنه حبُّ الذي في الدّيار حَلْ

وفي الدارِ أسْرارٌ وفيها بقيّةٌ ... تُحقّقُ؛ يدْرِيها المريدُ إذا وَصلْ

حبيبي رَسُولَ الله! عفْوَك إنني ... لَفي غُمةٍ مما جرَى ليْ وما حصَلْ

أتيتُ وأنتُم بُغيَتي وقَضيتي ... لأنعمَ باللقيَا وبالقُربِ والمحَلْ

وأنظرُ عن قُربٍ ضريحاً يضمُّكم ... بنفسيَ من ضَمَّ الضريحُ وما شَملْ

برُوحي وأهلي والبنينِ مكَانةٌ ... أواصِرُها في مُهجَتي عَقدُها اكتَملْ

أتيتُ ولكنّ الموانِعَ عرقلَتْ ... وكنتُ إذا ما جئتُ أمشي على عَجلْ

إلى المسجدِ [الباهي] أصلِّي تحيّتي وأنهضُ أجري حيثُ مثواكُمُ الأجلّ
أصلي عليكُم والدّمُوعُ سَواكِبٌ وأطفئُ في قلبي من الشّوقِ ما اشتَعلْ
ثلاثةُ أيامٍ مضَتْ وتصرّمتْ وطَرْفي برُؤيا مَوضِع القَبر ما اكتحَلْ!
وذلك أمرٌ لا أطيقُ احتمالَهُ وإني لَفِي ذُعْرٍ وإني لَفي وَجَلْ
فهل ليَ أن أحظَى لديكُم بوقفَةٍ يزولُ بها ما نابَ جِسْمي من العِلَلْ
وتبرأُ نَفْسي من شَدائدَ جمَّةٍ وتطهُر رُوحي من أثَامٍ ومن خَلَلْ
وأرجعُ مِنْها بالقبولِ مُزوّداً وأهلي وأبنَائي جميعاً ومن سألْ
ويُشفَى صَغيري عَاجلاً «حسَنُ» الذي بنَى في سُويداءِ الفؤاد لَه محلْ

❊ ❊ ❊

اليَومَ يومُ المصْطفَى ﷺ

ألقيتْ في «الهدَا» في «حفلة المولد» التي أقامها محمد بن صالح المحضار؛ شَوال ١٤٠٦هـ:

تفـيضُ بقـاعُ الأرضِ رَوحـاً ورَيحانَـا　　بـذكرِ رسُـولِ الله أعـلَى الـورَى شَـأنا
وتحيَى قلوبٌ نـالَ مـن دمِهـا الـصدَى　　وتُـمـسي وقـد شـعّتْ خَلاقـاً وإيمانـاً
وهــبَّ عليهَـا مــن نــسائمِ «طَيبــةٍ»　　أريــجٌ يُــحيلُ الجــدْبَ يهتــزُّ ريّانَــا
هـو اليومُ! يـومُ المصطفَى تحتفِـي بـه　　وتعنُــو لــهُ الأيــام عُرفــاً وعِرفانَــا
هــو اليــومُ! إرهاصــاتُه عــمَّ نورُهــا　　وهيّــأ أفكَــاراً وعطّــرَ أكوانَــا
هــو اليــومُ! توليــهِ الــسماءُ عنايــةً　　وتعلنُــه «التَّــوراةُ» بــالنصِّ إعلانَــا
ولمــا تجــلّى الحــقُ في ملكُوتــه　　وشــاءَ ومــا شــاءَتْ إرادتُــه كانَــا
بــأن يمــنحَ الــدُنيا ســلاماً ورحمــةً　　ويخلــقَ مــن عَــين الكــمالاتِ إنــسَانا
أطَــلَّ نبــيُّ الله في فَجْــرِ ليلــةٍ　　تعـدّى مـدَى خَيراتهـا الأنـسَ والجانَـا
وهــشّت لــهُ أمُّ القُــرَى وتزيّنَــتْ　　وحيّــاهُ بيــتُ الله حِجْــراً وأركانَــا
وخــفَّ إليــه «شَــيبةُ الحمْــدِ» باسِــماً　　يــردّدُ آيَ الحمــدِ لله شُــكرَانا
ومِــنْ حولــهِ أبنَــاؤهُ قــد تجمّعُــوا　　وســارُوا زرافــاتٍ هنــاكَ ووِحْــدانا
يحِفُّــونَ بالهــادِي البَــشيرِ وكلُّهُــم　　أمــامَ «ابــنِ عبــد الله» يرفُــلُ فَرحانَــا

وشـبَّ «أبُـو الزّهـراء» في خـيرِ مَنبِـتٍ … تحـوطُ وتَرعـاهُ الـسماءُ أيـنما كانَـا
وأعلنَهَـــا في حينهـــا خـــيرَ مِلَّـــةٍ … حَنيفيـــةٍ كـــانَ الخليـــلُ بهـــا دانَـــا
وأنـذرَ قبـلَ النـاسِ في الأرضِ قومَـه … وحـذّرهم بَغيـاً وكفْـراً وعِـصْيانا
وأبـــدَلهم بالـــذلِّ عِـــزاً ومَنعـــةً … وبالجهـلِ علـماً، والـضلالةِ إيمانـا
وكـانوا إلى مـا قَبـلِ مولـدِ «أحمـدٍ» … وبعثَتِـه صُـماً وبكْـماً وعُميانَـا
فجــاءَهمُ بــالمعجزاتِ بَــواهراً … وتوّجــهُ عَــدلاً وعِلــماً وقُرآنــا
كتـابٌ عزيـزٌ مـا تَـلاه مفكّـرٌ … وذو فطنــةٍ إلا وأذعــنَ إذعانَــا
ولا رامــهُ الأقــوامُ إلا وحَجّهــمْ … وأفحمَهــم قَــولاً وعلــماً وبُرهانــا
كــلامُ إلــهِ العــالمينَ وحــسْبهُ … بــذاك دلالاتٍ وهَــدياً وتبيانَــا
فليـتَ لنـا مـن ذلـك النبـعِ شَربـةً … بهـا سِرُّنـا يزكـو وتَـصلُحُ نجْوانـا
وليـتَ لنـا مـن عـالمِ الـروحِ لحظـةً … تــزولُ بهــا أوزارُنــا وخَطايانــا
إذا ما ضَمِنا القُربَ في حضْرةِ المنَى … فـما ضرنَـا مـن بعـدِه مَـنْ تجافانَـا

* * *

في مَولدِ رسُولِ الإنسانيةِ ﷺ

٨/ ٣/ ١٤٠٧هـ

على خَيرِ خلقِ الله صَلّوا وسلّمُوا ... وعنه خذُوا علمَ الكتابِ وعلّمُوا
وحيُّوا ليالٍ شرّفتْ بقدُومِه ... وأيامَ أمجادٍ على الله أكْرمُ
ليالٍ وأياماً تلألأ نورُها ... فهشَّ لها البَيتُ العتيقُ وزَمْزَمُ
وحُقَّ لطلابِ الحقيقةِ أن يرَوا ... بأعيُنِهم وجْهاً لها يتبسّمُ
وأن يَشهدُوها منظَراً باهِرَ السَّنا ... وأن يسْمعُوهَا حُجَّةً تتكلمُ
فذلكَ ميلادُ البَشيرِ وإنّه ... لأكبرُ مما قِيلَ فيه وأعْظَمُ
وقد جاءتِ الآياتُ في فضْلِ ذاتِه ... وما بعدَ قولِ الله إلا التوَهُّمُ
وأعطاهُ ما يرجُو وربُّك وحْدَه ... بما خُصَّ أو أعطِيْ محمَّدُ أعلَمُ
وأخمِدَتِ النيرانُ في أرضِ فارسٍ ... وكِسْرَى رأى إيوانَهُ يتحطّمُ
ودانت له الدُّنيا وأرخَت قيادَها ... وما حملَتْ وانجابَ ظلمٌ ومظْلَمُ
وقامتْ على أرضِ البسيطةِ دولةٌ ... دعائمُهَا التوحيدُ والله يحكُمُ
ودُستورُها دِينٌ تسوسُ له الورَى ... وهديٌ وقرآنٌ وجَيشٌ عرَمْرمُ
فطوبَى لقومٍ صدَّقوا بمحمَّدٍ ... وقبلَ جُموعِ المسلمينَ وأمّموا
وكانوا حماةَ الدّين ضدَّ من اعتدَى ... ومعترضٍ أو سَاخطٍ يتهجّمُ

سلوا الشِّعبَ إذ هبّتْ قُريشٌ وجمعُها ... تحاصرُهم فالشِّعب أدرَى وأفهمُ
بما بذَلوا من جُهدِهم وعنَائهم ... وما صبرُوا من أجلِه وتجشَّمُوا
حبيبي رسولَ الله ضاقَ فضاؤُنا ... وألوَتْ بنَا أعداؤنا وتحكّمُوا
وكنا ملوكاً يومَ كنَّا بِدينِنا ... نلوذُ وفي ظلِّ الشريعَة نَنعُمُ
حبيبي ونحنُ النازحونَ عن الحمَى ... تطاولَ مسْرانا وزادَ التبَرُّمُ
وعشْنا ولا زلنَا سنيناً عديدةً ... بِعَاداً وأشواقاً تخفُّ وتُؤلِمُ
وها أنا بعدَ البينِ والبُعدِ والضَّنى ... أؤخِّرُ رجْلاً تَارةً وأقدِّمُ
كأني لم أسمُر بِدَوعنَ ليلةً ... ولا كان لي فيه جليسٌ ومُلهِمُ
ولا كان لي ضمنَ القُرَينِ أحبةً ... يرقُّ هواهُم حولَنا ويُخيِّمُ
وأقبلت الأصحابُ من كلِّ وُجْهةٍ ... وكلٌّ بحبِّ الله في القَوم مُغرَمُ
ولا عيبَ في أفعالهم غيرَ أنهُم ... رجالٌ إذا ما أحجَم الناسُ أقدَموا

* * *

تحيةُ المولدِ النبويِّ الشريفِ

أهـلًا ربيـعٌ يبعـثُ النـورَ والبُـشْرى ... وينـشُر في أرجائنـا الخـيرَ والطهْـرا
ويـا حبَّـذا ذِكـرَى ربيـعٍ وطيفُهـا ... وما حملَتْ في خطوِها تلكُمُ الـذّكرَى
تطالعُنـا في كـلِّ عـامٍ فنتَـشي ... وتصحُو نفـوسٌ في عَزاياتها سَـكْرى
وتـصفُو قلـوبٌ طالمـا نالهـا الـصدَى ... وأرهقَها الإعراضُ مـن أمْرِهـا عُـسْرا
وأعظمْ بِذكرَى مولـدٍ حَـوّلَ الـدُّجى ... نهارا تغطّـي شَمسُه الـسهلَ والـوعْرا
وأسـدتْ إلى التّـاريخِ أمُّ محمَّـدٍ ... بـه مِنَنـاً مـا انفـكَّ وابلُهـا يـترَى
ويلقِـي عـلى شتَّى العـصُور ظلالهـا ... ويمـلأ أرجـاءَ الـدُّنا عَرفُهـا عِطْـرًا
لقـد وضَـعت خـيرَ النبيـين سـؤدُداً ... وأعظمَهـم قـدْراً وأرفعَهـم ذكْـرا
وأكثـرَهم هـدْياً وجُـودا وحكمـةً ... وأرحَمَهـم قلبـاً وأشرحَهـم صـدْرا
فـضجّت بـه بطحَـاءُ مكّـةَ بهجـةً ... كـأنّ بهـا مـن فـرْطِ نـشْوتها سِـحْرا
ففـي كـلِّ شـعْبٍ فرحـةٌ ومـسَرّةٌ ... وفي كـلِّ حـيٍّ حفلـةٌ بـأبي الزّهْـراء
وخـفَّ إليـه شـيبةُ الحمْـدِ تائِهـاً ... عـلى قَومـهِ تعلُـو سرائـرَه البُـشْرَى
وسـمّاه إلهامـاً ورشْـداً (محمَّـداً) ... ولله أزجَـى المجْـدَ والحمْـدَ والـشُّكْرا
وعـوّذهُ بـالله مـن شرِّ حاسِـدٍ ... وشَانٍ ومن يُبدي ومـن يُـضمِرُ الـشَّرَّا
وشـبَّ رسـولُ الله رمْـزاً يمثّـلُ الـ ... ـعَدالةَ والأخْـلاقَ والرِّفْـقَ والـبرَّا

وتلمعُ في الآفاقِ من بركاتِه   ظواهرُ إرْهاصاً بأنَّ له أمْرا
إلى أن أتَى أمرُ الإلهِ وآذنَت   مشيئته العظْمَى وقال لهُ: اقرأ
وقد صاغَه الرّحمنُ للناسِ رحمةً   وأكرمَهُ بالذِّكرِ من نزَّلَ الذِّكْرا
وأعطاهُ جبريلُ الأمِينُ مُرافِقاً   وأسرَى به ليلاً فسُبحانَ من أسْرَى
وصلى إماماً بالنبيينَ يقتفُو   نَ آثارَهُ إن قامَ لله أو خَرَّا
وجاز به السّبعَ الطباقَ مرحِّباً   به في السماواتِ العلى حيثُما مرَّا
ونادَى وناجاهُ وأوحَى لعبْدِه   هنالكَ ما أوحَى من المُثُلِ الغرّاءْ
وأولاه ما أولاهُ قرباً ورِفعةً   وأولاهُ ما أولاه في النَّزلةِ الأخْرَى
ففاضتْ رضاً نفسُ الحبيبِ بما رأى   وشاهدَ من آياتِ خالقِه الكُبْرى
حبيبي رسولَ الله جاهُكَ واسعٌ   بهِ يرفَعُ الله المخافَةَ والضَّراء
حبيبي رسولَ الله إن جموعنا   حيارى فهل من عطفة ترشد الحيرى
حبيبي رسولَ الله إن جَناحَنا   كسيرٌ فمَن يا سيدي يجبُرُ الكَسْرا
لقد طالَ ليلُ المسلمينَ وأظلمَتْ   مسالكُهم واستفحلَ الداءُ واسْتَشْرى
وأسلمَنا حبُّ الحياةِ ولهوِهَا   برغْم وصَاياكم إلى الدِّمَنِ الخضْراء
وهمنا غراماً بالعَدَاوة بيننا   فنحنُ عن الشّحناء لم نستطعْ صَبرا
وخُضْنا لظَى حَرْبِ الأشقّاءْ ولم نَزلْ   على حُرقةِ القُربَى وتمزيقِها أجْرأ
وضاقَتْ بنا أوطانُنا وتلوَّنَتْ   فلا شَامُنا شاماً ولا مِصرُنا مِصْرا
تركْنا كتابَ الله خلْفَ ظهُورنا   وحيداً وأوسعْنا تعاليمَه هجْرا
وجُبنا فِجاجَ الأرضِ نلتمِسُ الهدى   ونبحَثُ عمّن يدفعُ الظلمَ والجوْرا
فلا بسِوَى الإسلامِ ينهَضُ أمرُنَا   ولا بِسوَى القُرآنِ أمراضُنا تَبْرأ

روحانيات

في جَبلْ عَرَفاتٍ

كان يجلسُ بالخيمةِ المجاورةِ بالجبل الكريمِ عددٌ من رجالِ الفكر والأدبِ، بينهم: أستاذُنا الشاعرُ حُسَين بن محمد البار، فأرسلتُ إليهِ الأبياتِ التالية، فما لبث أن وصلَ الردُّ منه خلالَ ساعة؛ ٩/ ١٢/ ١٣٧٤هـ:

قِـفْ لـربِّ الـسماء في عَرفاتِـهْ ... وارمِ ثقَـلَ الـذنُوبِ في سـاحاتِهْ

وأنِـبْ مخلِـصاً فهـذا رُبَـى التـ ... ـوبةِ واهتـفْ مـستمطِراً رحَماتـهْ

أيهـا الـشّاعرُ الـذي ردَّد الكـو ... نُ وسـكانُه صـدَى نفثَاتِـهْ

قُل! فهذِي بواعثُ الشِّعرِ تدعُو ... كَ، وردّد بيـانَ سِـحرِكَ، هاتِـهْ

دونَك المـشهدُ العظـيمُ فـسجِّلْ ... مـا يهـزُّ القلـوبَ مـن آياتِـهْ

أحـمد بن علي بافقيه

وجاء الردّ في نفسِ الساعة يحملُ الأبيات التالية:

يـا هــزاراً ينـساب في أغنياتــه	كانــسيابِ الأثــير في نَــسَماتهْ
روِّ رُوحــي بنــبضِ شــعركَ إني	لمــشُوقٌ إلى سَــماع بناتِــهْ
جئتُ أسعى وفي جـوانحي الـشو	ق إلى كعبــة الـسّناء وذاتِــهْ
مؤمنــاً مخلِــصاً تقيــاً منيبــاً	لــشهُود الجـمالِ في عرَصَــاتهْ
الجـمالِ الـذي يطـوّح بالجـسـ	ـمِ ويـسمُو عـلى تُـراب حياتـهْ
الجـمالِ الـذي يحلِّـقُ بـالرُّو	حِ إلى عــالمِ الهــدَى وبنُاتــهْ
فَـشَهِدتُ الآثـار يـا ابـنَ عَـلِيٍّ	مفصحاتٍ للمَجـدِ عـن خالداتـهْ
لا تعظنِـي فحـسْبُ مـا قـدَّم الـدّ	هـرُ إلى نفْـسِ شـاعرٍ مـن عِظاتِـهْ
قـفْ ودَعنـي في مَوكِـبِ النُّـور	أحْسُو النورَ من شَمسِه ومن نيّراتهْ

حسين بن محمد البار

خَتمُ «صَحيحِ البُخَارِي»

تحيةٌ إلى **الشيخ سالم باحشوان**؛ (بمكة المكرمة)، بمناسبة ختم «صحيح البخاري» في منزله العامر؛ مكة المكرمة ١٧/ ٧/ ١٤٠١هـ:

لـــيسَ أحْـــرَى بمنـــزلِ الأخيـــارِ ... من هُدَى الذكرِ أو «**صَحِيح البُخَاري**»

فِــيهما حفظُنــا مــن الزّيــغِ والميـــ ... ـــلِ وطُــرُقِ الــضّلالِ والانحــدارِ

فـــيهما عزُّنَـــا ونيـــلُ منانَـــا ... في الحيـــاةِ الـــدُنيا ودارِ القَـــرارِ

لــنْ تَــضِلّوا بعــديْ إذا مَــا تمَــسّكْـ ... ـــتُمْ بَـــما فـــيهما مـــنَ الأسْرارِ

هكـــذا قالهـــا شَـــفيعُ البرايَـــا ... هكـــذا جاءنَـــا عـــن المختَـــارِ

فاســـمعُوا قولَـــه وصـــلُّوا علَيـــه ... وعـــلَى آلـــهِ أولي الأبـــصَارِ

وعـــلى صـــحبِه المهـــاجِر مـــنهُم ... وعـــلَى أهـــلِ «طيبـــةَ» الأنـــصارِ

ســيدُ المرســلين «ســنتُه» بَعــدَ «الــ ... ـــكِتَابِ الكـــريمِ» شـــمسُ النهـــارِ

هـــي نبراسُـــنا هـــي الحكَـــمُ العَـــ ... ـــدْلُ هـــي المرجـــعُ الحكـــيمُ القَـــرارِ

كـــم لجأنَـــا إلى حماهَـــا فكانَـــتْ ... خَـــير دِرْعٍ لنـــا مـــن الأخطَـــارِ

ولكَـــمْ ذلّلـــتْ وجلّـــتْ لنَـــا مـــن ... مـــشكلاتٍ أعيـــتْ عقـــولَ الكِبَـــارِ

ولكَـــمْ فـــسّرتْ لنَـــا في كتـــابِ اللّـــ ... ـــهِ مـــن حكمـــةٍ ومـــن أسرارِ

فاســـألُوا قـــادةَ الـــصّحابة عنهَـــا ... واســـألُوا التـــابعينَ في الأمـــصارِ

واســأَلُوا مــن أَتَــى يحــثُّ خطــاهُ بعــــدَهم مـــــن أئمـــــةٍ أخيـــارِ
كـــم تَـــساعَوا إلى الحفَــاظِ علَيها واستـــسَاغُوا متاعِـــبَ الأسْـــفارِ
أفيَــأتي مــن يــصرفُ النــاسَ عنهَــا؟ وينـــادي بهَـــدْمِ هـــذا المنَـــارِ؟
لا ورَبِي فَـــإنّ «سُـــنّة طَـــهَ» ســوفَ تبقَــى تــضيءُ ليــلَ الــسّاري
ســـوف تبقَـــى صرْحـــاً عـــلى الأرْ ضِ مـا كـرَّ الجديـدانِ عـاليَ الأسـوارِ
ســوف تبقَــى رغْــم العِــدَى مــصدَراً للــشّرعِ نَجتنــي منــهُ شــهيَّ الــثّمارِ
والتهـــاني منّـــا لـــ«آل أبي حَـــشْوا نَ» أهـــلِ الثنَـــاءِ والإيثَـــارِ
عمَـــرَ الله دورَهُـــم بهُـــداهُ وحـــديثِ النبـــيِّ والأذكَـــارِ
ورعَـــاهُم في أهلِهِـــم وبنِـــيهم وذَويهـــم ومـــدَّ في الأعـــمارِ

* * *

في فِنَاءِ البَيتِ العَتيقِ

في فناء «البيتِ» دَعني هاهُنـا ألقِـي الـشِّراعَا
أتحــرَّى نفحــاتِ الـــرُّوحِ تَنهـــالُ تِباعَـــا
وأنَــلْ مــا أبتغِــي مــن طَيِّــبِ الــزادِ متاعَــا
والطمأنينــةُ تغــشَاني فــلا أخــشَى ضَــياعَا

❊ ❊ ❊

ربِّ عـــاقتني خطِيـــآتي وغمّتنِـــي ذُنـــوبي
فأنَـــا أمْـــشي ولا أبـــصِرُ في الـــسَّير درُوبي
وإذا حاولتُ .. صدَّتني عـنِ الرؤيـا عيُـوبي
غــيرَ أني برِحَــابِ البَيــتِ تَنــزاحُ كُــروبي

❊ ❊ ❊

ظَـامئٌ .. ظامئــةٌ رُوحــي لكــأسٍ معنويّــةْ
أحتـــسيها لا أبقِّـــي لغـــدٍ مِنهَـــا بقيّـــةْ
أحتَـــسيها وإذا دُنيـــايَ آفـــاقٌ نديّـــةْ
وإذا الخَـــوفُ أمـــانٌ، وإذا الـــنفسُ رَضـــيّةْ

❊ ❊ ❊

ربِّ زدني بِـــكَ إيمانـــاً وألهِمْنـــي اليقينَـــا
وأنِـــرْ قلبـــيْ وكُـــن لي في المهـــماتِ مُعينَـــا
واحمِني من شرِّ نفْـسٍ حَـوتِ الـداءَ الـدّفينا
ربِّ واجعلنِـي بقُـرْبِ البيـتِ إنـسَاناً قَمِينـا

* * *

واهدِني حتّى أرَى خَطوي على نهجِ «محمّـدْ»
ومُـــوالاتي لَـــهُ في كـــلِّ يـــومٍ تتجـــدَّدْ
عمَـلاً أرجُـوهُ؛ لا قَـولاً، ولا شِـعْراً يـردَّدْ
أرِدُ الحـوضَ بـه يـومَ التنَـادِي خـيرَ مَـورِدْ

* * *

حَضرةُ البَارِ ..

أُنشِدَت في حضرة السادة الأجلاء آل البار، التي تقام كل يوم ثلاثاء في دوعن القرين، ثم قام بتأسيسها السيد الجليل **عبد الله بن حامد البار** في جدة، وهي مهداة إليه، بجدة، حيث أنشئت القصيدة: ٢٠/ ١٢/ ١٤٠٦هـ.

«هذه الحضرةُ الميمونة المباركة، التي أسّسها كُمّل الرجال، ويحضرها كمّل الرجال، لطالما حدثتني النفسُ أن أحييها بتحية خالصة، هي كل ما أستطيع، وأقل ما يجب، ولم يسعفني القلم ربما لتهيبي وقصوري، وأخيرا حضرتني هذه الأبيات التي أوجهها إلى مؤسس الحضرة بجدة، الحبيب عبد الله بنِ حامد البار، وهي منه وإليه»:

مـا طَـافَ حيًّـا طـائفُ الأذكـارِ ... إلا وأبـدلَ ليلَـهُ بنهَـار
وسرَى يعطّـرُه أريـجٌ عـابقٌ ... يُـزري بعَـرْفِ نـسَائمِ الأسْـحار
ولنـا شـواهدُنا بحـضْرةِ معْـشَرٍ ... مِـنْ بـرِّهم سُـمُّوا **بِـآلِ البَـارِ**
مـنهم **نزيـلُ جَلاجـلٍ** والحـبرُ **أحـ** ... **ـمدُ** والحـسينُ مقـدَّمُ الأبـرارِ
وأرَى خليفـتَهم ربيـبَ المجـدِ مَـن ... أوتي الفهُـومَ وصَـائِبَ الأفكـارِ
الـشهْمُ **عبـد الله** مَـن شَـهِدُوا لـه ... بالفَـضْلِ والحـسْنَى أولُـو الأبـصارِ
تقْـرَا الرُّجولـةَ في ملامِـحِ وجْهـهِ ... وتَـرى الفُحولَـةَ فيـه شَـمْسَ نهـارِ
بكَ يا **ابْنَ حامِدَ** كمْ مـشارعَ أُنجِـزَتْ ... ومـساجِداً عُمِـرت وأبْـصَر سـارِ

يـا حبّـذا مـا نلـتَ مـن سَـهْمٍ ومـا ... جـدَّدتَ مـن رَسْـمٍ ومـن آثـارِ
أحييتَ حضْرةَ معْشرٍ ورِثُـوا الهـدَى ... والـصالحاتِ عـن النبـيْ المختـارِ
هـي حـضرةٌ يهمِـي عـلى رُوَّادهـا ... فـيضٌ مـن النفحـاتِ والأنـوارِ
وتجـولُ في أرجائهـا وخِلالهـا ... روحٌ تُزيـلُ سـحائبَ الأكـدارِ
أنـتَ الـذي أسّسْتها في جُـدَّةٍ ... وعملْـتَ في عَـزْمٍ وفي إصْرارِ
فـإذا بهـا بجُهـودِكُم وبفَـضْلكُم ... مـأوَى العِطَـاشِ وكعبـةُ الـزُّوَّارِ
يرتادُهـا العلـماءُ مـن سَـاداتنا ... ويؤمُّهـا حَـشدٌ مـن الأخْيـارِ
كالـسّيدِ الـسّقاف يعْـسُوبِ المـلا ... سـهلِ الخليقَـةِ وارثِ الأسرارِ
والـشّاطريِّ العبقـريِّ وإنّـه ... في علمِـه حَـبرٌ مـن الأحبـارِ
هذي الفـضائل يـا ابـنَ حامِـدَ نلتَهـا ... ونهجْـتَ نهـجَ الـسّادة الأطهـارِ
وأخـذتَ مـن أسْرارِهـمْ وعلُـومهم ... حظًّـا سـمَوتَ بـه عـلى الأغْيـارِ
أنَّـى حللـتَ بمَـوطنٍ أو غُربَـةٍ ... أثبـتَّ أنـكَ مطْمَـحُ الأنظـارِ

❊ ❊ ❊

وطنیات

مَنطِقُ الغَابِ

بمناسبة الحظْر على الأندية والجمعيات الثقافية بحضرموت في عهد الاستعمار:

وقـــالوا لا دســـاتيرُ ولا نـــادٍ ولا حـــزبُ
ولا جمعيـــةٌ يـــشكو هـــواهُ عنـــدَها الـصبُّ
ولا متـــنفسٌ فيـــه يلطِّـف جوُّنـا الـصعبُ
ولا رأيٌ تفـــوهُ بـــه فقلنـا حـسبكم حـسبُ
ألم يكْـــفِ بنـــا أنّـــا بقينـا ومـشَى الركْـبُ
وأنّـــا بـــينَ جَـــرْداءَ فـلا زهـرٌ ولا عـشبُ
وأن الفقـــرَ في الأحقـــا ف داءٌ مـــا لـــه طِـــبُّ
وعاصِمةٌ لنـا استعْـصَى عـلى سـكانها الـشُّربُ
رُوَيـــداً أيهـــا البَـــاغي ولا يمضي بكَ العُجْـبُ
ســـنأخذُ حقَّنـــا قهـــراً سيعرفُ دربَـه الـشّعبُ

❊ ❊ ❊

تـحيةُ «الرَّائِدِ»(١)

أصدرَ الأديبُ الشاعر حسين بن محمد البار مجلة بالمكلاّ أسماها «الرائد» فأرسلت إليه بهذه التحية:

طلعَـتْ عـلى مَهْـدِ الجـدُودِ　　كالـصُبحِ كـالفَجرِ الجديـدِ
غــرّاءُ تنبــئُ بالغَــدِ الـــ　　ـــمَأْمُولِ والعَهـدِ الـسّعيدِ
حملَـــتْ رِسَـــالةَ أمَّـــةٍ　　ومَـــضتْ بـــإيمانِ المريـــدِ
تَهــدِي وتُرشِــدُ حَــائراً　　وتحـدُّ مــن صَلفِ العَنيـدِ
يــا مبْعــثَ الأحــلامِ يــا　　أمَــلاً لتَحْطــيمِ القُيــودِ
يـا نـسمةً مَـرّتْ عـلَى الـوَا　　دِي فـــأورَقَ كـــلُّ عُـــودِ
يـــا نفْحـــةً عربيّـــةً　　بُوركـــتِ يانعَـــةَ الجهُـــودِ
يـــا شُـــعلةً وطَنيـــةً　　سـطعَتْ عـلى دُنيـا ثَمُـودِ
يـا «رائِـدَ الأحـرارِ» يـا　　غــراءُ يــا بيــتَ القَـصيدِ
شُـقّي الطريـقَ ومهِّـدي　　للنـصْرِ للغَـرَضِ البعيـدِ
وخُــذي الأعنّــةَ وارسُـمِي　　الأهــدافَ للجيـلِ الجديـدِ
وامْــضي بنــا قــدُما وعَــن　　نهــجِ الحقيقَــةِ لا تحيــدي

---

(١) ١ جمادى الثانية ١٣٨٠ هـ نشرت بمجلة «الرائد» الحضرمية .

حتّـــــى ننـــــالَ مكَانـــــةً مرمُوقـــةً بـــينَ الوجُـــودِ
ونـــسِيرَ في ركْـــبِ العـــرُو بَـــةِ وهْـــوَ خفّـــاقُ البنُـــودِ
دُسْـــتورُنا الإِســـلامُ مَـــصْـ ـــدَرُ كـــلِّ مكرُمـــةٍ وجُـــودِ
يـــا صَـــوتَ وادِينَـــا الحبيـــ ـــبِ لكُـــلِّ مغـــتَرِبٍ شَريـــدِ
هَـــاتِي حـــديثَكِ عَـــن مَـــرا تِعنَـــا وعَـــن مـــدُنٍ وبيْـــدِ
وصِـــفيْ لنـــا تلـــكَ الربُـــ ـــوعَ وأهلَها وصِفي وزيْـدِي
يـــا بَعـــضَ آمَـــالِ الـــشّبا بِ ومطمـــحَ العَـــدَدِ العَديـــدِ
ســـــيري بعَـــــونِ الله لا يثنيـــك مرتفـــع الـــسدودِ
بخُطًـــى تـــجِدّ وهمـــة قعـــساءْ تفُـــل قُـــوَى الحديـــدِ
ولـــديكِ مـــن عَـــزْمِ الـــشبا بِ وروحِـــه خَـــيرُ الوقُـــودِ

* * *

صَحافةُ حضْرمَوت

بمناسبة صدور مجلتي «الطليعة» و«الرائد»، أول مجلتين من نوعهما في حضرموت؛ ١٥/ ٨/ ١٣٨٢هـ:

قالُوا لنـا: في حَـضْرمَوتَ صَـحافَةٌ ... ظهرَتْ تريـد الرُّشْـدَ والإصْـلاحَا
وتخـطُّ للـشَّعْبِ الكَـريمِ طريقَـهُ ... وتهيِّـــئُ الأفكـــارَ والأرْواحَـــا
قُلنَـا: جميـلٌ أن يكـونَ لـشَعْبنا ... صـحُفٌ تحيـلُ لـه الظَّـلامَ صبَاحَا
وتُريـهِ أن لَـهُ مَـصالِحُ طالمـا ... هُضِمتْ وحقاً في الأمُـورِ صُراحَـا
وتُريـهِ أنّ العَـصْرَ عـصْرُ شُـعوبِه ... هـي لا سِـواهَا تملـكُ المفتاحَـا
لكـنَّ لي رأيـاً سَـأعلِنُه عـلى ... سَـمْعِ الجهَـاتِ لعـلَّ فيـه فلاحَـا
هَـلْ للـصَّحافةِ عنـدَنا مـن خُطَّـةٍ ... نمْـشي عليهـا [بُكْـرَةً وصَـباحَا]
وهل الصَّحافةُ في الحمَى الممنوع لا ... نخْـشَى عليهـا صَرْصَراً مجتاحَـا
وهـل الطريـقُ أمامَهـا في مـأمَنٍ ... أم لغَّمُـــوهُ أســـنةً ورِماحَـــا
وإذا ادلهـمَّ الأمْـرُ واحتـارَ النُّهـى ... أتـرى الـصحافةُ تملِـكُ الإفـصاحَا
أنا لستُ أدري، والذِي أدْريـهِ: أنـــا غَـارقُونَ مـشاكلاً وجِراحَـا
أنا لستُ أدري، والذي أدريـه: أنـــا والطـوَى في حنـدِسٍ نتلاحَـى!
أنا لستُ أدري، والذي أدرِيـه: أنـــا مُـسْرفونَ تنـاحُراً وصِـياحَا

أنا لستُ أدري، والذي أدريـهِ: إمـــ ـــا جَـــدَّ أمـــرٌ خلتَنَــا أشـــباحَا
نحيَى بـلا هَـدفٍ ونـصنَعُ بالقُـشو رِ تقـــدُّماً ونُعَرقِـــلُ الإصْـــلاحَا
ونعـيشُ نجْهَـلُ مـا يـراد بـشَعْبنا فـــشَلاً ذريعـــاً أم يُـــرادُ نجَاحَــا

❊ ❊ ❊

يا حَضْرَموتُ !

مع جفاء المربع، ونُبوِّ الدار، استبدّت به لواعج الشوق إلى مسقط الرأس ومراتع الصبا، في الوقت الذي تردّدت فيه أنباءُ عن مؤامراتٍ تدبَّرُ، ومكَائِدُ تحاك، على حسابِ حضرموت ووَحدَةِ أبنائها، (نظمتْ في أواخرِ عهد الاستعمارِ البريطاني):

الخبر؛ ٢٠/ ٨/ ١٣٨١هـ:

صُـــدِّي فـــصدُّكِ منطـــقٌ مَـــرْدودُ ... ولأنـــتِ أنـــتِ القَـــصدُ والمقـــصُودُ
أنـــتِ التـــي لـــولاكِ لم يُـشرِقْ لنـــا ... أَمَـــلٌ ولا غنَّـــى بـــه غِرِّيـــدُ
وعـلى دروبِ لقَـاكِ وحَّـدَنا هـوًى ... فيـــه تَـــساوَى طـــالحٌ وسَـــعيدُ
لك رُغمَ أنفِ الجدبِ كـم مـن بَيعَـةٍ ... قُطِعـــت عـــلى أعناقِنـــا وعهُـــودُ
ولك الحقـوقُ ونحـنُ مـن حفَّاظِهـا ... مهـــما تتالـــتْ أعـــصُرٌ وعُهـــودُ
أنّـى اتجهْنَـا في الـبلادِ حَنَـا عليـــ ... ـــنَا مـــن خَيالـــكِ وارفٌ ممـــدُودُ
أمَّ البنـــينَ النـــازحينَ عـــن الحمَـــى ... يـا مـن خَـبرتِ البـينَ وهـو وليـدُ
أبنـاؤكِ الأدنُـونَ أخفـقَ جَـدُّهم ... ونبـــت بهـــم دارٌ وضـــاقَت بِيـــدُ
فمَـضوا إلى عَـرضِ الحيـاة كتائبـاً ... لم يُثْـــنِهم لغَـــبٌ ولا تَـــسهيدُ
يغـزُون شرقـاً في الـبلاد ومغرِبـاً ... ويـــسابقُون الـــريح وهـــي شَرودُ
وينـــازعون الأسْـــدَ في أرزاقِهـــا ... فـــتغضُّ عَـــنهم تـــارةً وتحيـــدُ

يحـــدوهمُ شـــوقٌ لتُربِـــكِ عَـــارمٌ ويحـــثّهم حَـــرَّ النّـــوى ليُعيـــدوا
شُغِلوا بحبِّكِ عـن سـواه فبعـضُهم دَنِـــفٌ وآخـــرُ مبعَـــدٌ وشَريـــدُ
وبقُـوا عـلى ذِمَـم الهـوَى متجلِّـدٌ يخفِـــي لـــواعجَ حبِّـــه وعَميـــدُ
ومتـــيَّمٌ تـــسري بـــه أحلامُـــه لـــيلاً ويـــأبى حظُّـــه المنكُـــودُ
ومعلـــلٌ بالوصـــلِ يَمـــضِي عمـــرُه والوصـــلُ يـــومَ حياتـــه الموعُـــودُ
فمتَـــى يبلَّـــلُ بـــالرجُوعِ أوامُهـــمْ ومتـــى ســـيطلُعُ فجـــرُكِ المـــشهودُ
ويعُـــمُّ في أرجـــاءِ وادينـــا الرخـــاءُ وتـــرُفُّ مـــن رَغَـــدٍ عليـــه بنـــودُ
ونهـــشُّ للّقيَـــا فيفـــرَحُ والـــدٌ ويطـــيرُ مـــن فـــرْط الـــسرورِ وليـــدُ
يا حَضرموتُ وأنت رِيُّ جموعِنـا الــ ـعَطْـشَى وأنـــتِ خيالُنـــا المنـــشودُ
يـــا حَـــضرموتُ وأنـــت في أذهَـــاننا حـــبٌ نمَـــى لم تكتنِفْـــهُ حـــدودُ
يـــا حَـــضرموتُ وأنـــت لحـــنٌ خَالـــدٌ هزَجـــتْ بـــه أرواحُنـــا ونَـــشيدُ
بثَـــراكِ دُلّهنـــا كـــما بـــكِ دُلّهـــوا مـــن قبـــلُ آبـــاءٌ لنـــا وجـــدودُ
والله لا يلـــوِي بنَـــا رغـــدُ المعيـــ ـشةِ عـن هـواكِ ولا العيـونُ الـسودُ
يا حضرموتُ وأصلُ (عادَ) وأرضُـهُ كَـذبُوا وقـالوا: لـيسَ منـك ثَمـودُ
قولـــوا لمـــن أفنَـــى الجهـــودَ مفرِّقـــاً هيهـــات يثمِـــرُ ذلـــك المجهُـــودُ
إلا الوبـــاءُ يـــأتي عـــلى آمالِـــه وعليـــه بالخُـــسْرِ المبـــين يعُـــودُ
قولُـــوا لمـــن ظـــنَّ الأمـــاني سـهلةً إن الطريـــقَ أمامَـــه مـــسدُودُ
إنـــا هنـــا في وجـــهِ كـــلِّ مكيـــدةٍ متيقظُـــونَ ســـلاحُنا التَّوحيـــدُ
ولـــسوف نُحـــبِطُ مـــا تـــآمرتُم بـــه ويـــضمُّ كـــلَّ دسيـــسةٍ أخـــدُودُ
ولسوف نعصِفُ قـادرين بجمعِكـم ولـــسوفَ يُهـــزَمُ طـــامعٌ وحـــسُودُ

فيتُـو!!

بمناسبة قرار الحكومة القعيطية بحضرمَوت دخول أبناءِ اليمن والمحميّات إلى حضرموت إلا بتأشِيرة:

(فيتــو) ســنعلنها مــدَوِّ ... يــة مجلجلــةً فَــضِيحَة
(فيتــو) نــصمُّ بقَولهــا ... سَمعَ الكسيحة والنَّطيحَـة
(فيتــو) إلى حكَّــامِ وا ... دِينــا نقــدِّمها نَــصيحَةْ
ألغُــوا قــراراً قرمُزيــ ... ـا واشطبوا هذي الفضيحَةْ
ألغُــوه إنّــا لا نطيــقَ ... ســماعَ أصــواتٍ قبيحَــةْ

* * *

أينَ العروبةُ في مخاليفِ الــ ... ـــسعيدةِ في الــيمنْ
مـن وحَّـدتْ بينـي وبـينَ ... تُرابِــه سُــنَنُ الــزمنْ
والــدينُ والتــاريخُ والــدَّ ... مُ والطبيعــةُ والمحــنْ
أضَــعُ الحــواجزَ دونَــه ... طَوعَ الأوامر مـن (عـدن)
لا واللّــذِي بــرأ العُــرو ... بــة لــستُ مانعــه ولــنْ

* * *

لا ! بلْ سأفتحُ قبلَ أبـوابي ... لــهُ صَــدراً وقلبَــا

ولـــسوفَ أفـــرشُ دَربَـــهُ فُـــلاً وأزهـــاراً وعُـــشْبا
ولـــه أضـــحِّي بـــالثَّمين وأرتقـــي مـــا كـــانَ صَـعبا
وأريـــــهِ أنَّـــــا أخـــــوةٌ بـين الـورَى سِـلماً وحَرْبـا
حتَّـــى تظللنَــــا ســــوياً رايــــةٌ تهتــــزُّ عُجْبَـــا

* * *

ولـــيعلم البـــاغي المـــسَلَّـ ــطُ أننـا طـلابُ وَحـدَةْ
وبأننـــــا كنَّـــــا ولا زلنا لجمـعِ الـشمل جُنـدَهْ
ســـــنُقيمها عربيــــــةً لبناتهـــا عـــدد وعـــدَهْ
مـــن صُـــنع أيـــدِينا بهـــا نلقَـــى أشـــقاءَ المـــودّةْ
في وَحـــدةٍ كُـــبرى تـــذ كّـرُ روعـةَ المـاضي ومجـدَهْ

* * *

الحضَارِمُ

في عام ١٩٥١م انتهت خِدماتُ **الشيخِ سيفِ بن علي البوعلي**، كسكرتيرٍ بحكومة المكلاّ، فطالبَ الشعبُ بسكرتير وطني يحلّ محله، ولكن الاستعمارَ البريطانيَّ رفضَه، وتعين **الشيخ سعيد القدّال** من السودان، سكرتيراً للدولة، وكانت جماهيرُ من الأمة قد خرجت إلى الشوارع بالعاصمة المكلا، واتجهت إلى حيث يعقدُ اجتماعُ تعيينِ السكرتير، فقوبلت بطلقَاتِ النار، وسقط منها عددٌ من القتلى والجرحى، وسُجِن آخرون، على رأسِهم **الكاتب المعروف أحمد بن عمر بافقيه**[1]:

يـا قَـومُ لا تتحَـضْرمُوا   فالحَـضرميةُ مـأثم
وتَـسَودنُوا خـيرٌ لكـم   إن كنـتمُ لم تعلمُـوا
وتهنَـدكُوا وتجلنَـزُوا   وتـصَهْينوا مـا شـئتمُ
وتواكلُـوا وتخـاذلُوا   أن شـئتم أن تكرمُـوا
وعـن السيادةِ والكـرَا   مـةِ والحميـةِ فـأحجِمُوا
وعـلى السكوتِ إذا دعَـا   داعِـي الـبلادِ فـصمِّمُوا
ودعُـوا الـسياسةَ إنهـا   ملعونـةٌ لا تَـرحَمُ

---

(١) نشرت هذه القصيدة في مجلة النهضة العدنية. (الشاعر). **وينظر للمزيد**: كتاب «السيد أحمد عمر بافقيه، من رواد الصحافة العربية في القرن العشرين»: ص٢٥٥ وما بعدها.

وإذا ظلمــــتُم يـــا بَنـــي ... قَـــومي فـــلا تتظلمُـــوا
وارضَوا بما اختـارَت لكـم ... عقلاؤُكُــم واســتعلمُوا
وإلى المهـــاجرِ فـــاذهَبوا ... ولهولهَـــا فتجـــشّموا
جُوبوا البحارَ وكـلَّ صقـ ... ـــعِ في البـسيطة يمِّمُــوا
وتجلّــــدوا وتلبّــــدُوا ... وعـلى المخـاطر فاقـدِمُوا
ثـــم اجمعُــوا محـصولَكم ... للغاصـــبينَ وقـــدِّموا
ودعُــوا الأجانـبَ في البـ ... ـــلادِ مسَيطرينَ وسـلِّمُوا

* * *

دفاعاً عن الإسلام
والعروبة

نَشِيــدٌ

يــا أمَّتــي يــا مــن حملْــتِ   إلى الــورَى أســمَى رِسَــالهْ
ونــشرتِ نُــورَ الحــقِّ يــســ   ــطعُ ماحياً سحُبَ الضلالهْ
ورســـمتِ للـــدُّنيا دسَـــا   تِـــيرَ المحبـــةِ والعَدالـــهْ
إنّـــا عقَـــدنَا العـــزمَ أن   نُحيِـي تراثـك في عجالـهْ

* * *

بــالعلمِ نفْـتحُ كـلَّ بــابْ   ونزيــلُ آثــارَ الــصِّعابْ
ونَخُـــطُّ في لـــوحِ العُـــلا   الأمجـادَ مـن نُـورِ الكِتـابْ

* * *

صَوتٌ مِنَ التَّاريخِ يَدْعُونَا بمكَّةَ والمدينَةْ
حَيْثُ المآثرُ والمفَاخِرُ والبطُـولاتُ المبينَـةْ

* * *

لبّيكَ يا دَاعي الهُدَى   لبيكَ يا رَمْـزَ الفـدَا
لبيـــكَ إنّ دَرْبنَـــا   أن نقتَفــيْ محمَّـــدَا

* * *

تَحِيةٌ(١)

إلى الفيلسوفِ الإفرَنسي، الذي هداه الله للإيمان **الأخ/ رجَاء جَارُودِي**:

أبصرتَ نورَ الحقِّ يا جَارُودي ... فمشَيتَ تحتَ لوائِه المعقُودِ
ورعَتكَ من قِبَلِ السماءِ عنَايةٌ ... فنطقْتَ بالتهليلِ والتحميدِ
من بعد ليلٍ عشتَ فيه ورحْلةٍ ... محفوفةٍ بالهمِّ والتَّسْهيدِ
في دربها أفنيتَ عُمراً كاملاً ... وظَفِرْتَ من خَيراتها برَصيدِ
وعَبرتها تجتازُ دنْيا الشَّك للإ ... يمان والإنكار للتأييدِ
هي كالسفينةُ بين أمْواجِ وأنتَ الر ... اكبُ الحيرانُ والإسلامُ كان الجودِي(٢)
يا حبّذا الإسلامُ من شَطٍّ به ... ترسُو سنينُ التائِه المفقُودِ
فيحطُّ في أرضِ الأمَانِ رحالَهُ ... ويفوزُ من عيشِ الرِّضَا بمَزيدِ
قُل لي بأيّةِ لحظَةٍ رُوحيةٍ ... هبّتْ عليكَ نسائمُ التوحيدِ
فاستقبلتْها منكَ رُوحُ الواهيـ ... ـنَ لما وراءَ العالَمِ المحدُودِ
وتفتّحتْ جنباتُ نفسِك للهِدا ... يَةِ ترتَوي من نبعِها المورُودِ
أسلمتَ لا إسْلامَ تقليدٍ ولا ... طَمعٍ، ولا بالنَّار والبَارُودِ
ودعَاكَ للإيمانِ ما عانيتَه ... وبذلتَ من وقْتٍ ومن مجهُودِ

---

(١) نشرت بالملحق الثقافي بجريدة المدينة المنورة عدد ١١ تاريخ ١٤٠٣/٦/٣٠هـ.

(٢) هذا البيت طويل، يخالف وزن باقي القصيدة.

وتناهبتْكَ مذاهبٌ ومبَادئٌ   برّاقةٌ فصَمَدْتَ أيَّ صُمُودِ
حتى وصلتَ إلى الحقيقةِ فاغتبطْـ   ـتَ بهَا ولذْتَ بظِلِّها الممدُودِ
(جارودُ) ما هَذا التآمُر ضِدَّ   دِينِ الله منْ مُتحامِلٍ وجَحُودِ
في **الغَربِ** نسمعُ ضجّةً حيّى صَدا   هَا الشّرقُ بالتطبيلِ والتّصْعيدِ
وتجمّعَ الضّدانِ رغْمَ عِدَائهم   فِي مَهْيَعِ التّجْريح والتّنديدِ
يتَصايحُونَ ليطفئُوا نُورَ الإلـ   ـه فكُلُّ كلبٍ نَابح بوَصِيدِ
ويجدِّلونَ حبالهم وعصيّهُم   بمكائِدِ التّنصِير والتّهويدِ
حيناً بتوزِيعِ الهَدايا والخِدا   عِ وتَارةً بالضّغطِ والتهدِيدِ
هَيهاتَ! فالإسْلامُ أمنَعُ جَانباً   من بطنِ جبّارٍ وكَيدِ حَقُودِ
كذَبُوا وقالُوا إنّه ضدَّ التقدّ   مِ والنهوضِ وضِدَّ كلِّ جديدِ
هو ضِدٌّ كلِّ عقيدةٍ مدخُولةٍ   ومواثِقٍ مكذُوبةٍ ووُعودِ
هو دعوةُ الحقِّ التي فيها العِلا   جُ لمشكلاتِ العَالم المنكُودِ
العلمُ فيه فريضةٌ والمالُ فيه   وسيلةٌ للصّالح المنشُودِ
والحكمُ فيه عدالةٌ تسَعُ الورَى   لا فرقَ بين مُسوَّد ومَسُودِ
(جَارُود) جرِّدْ من يراعِكَ صارماً   ردْعاً لكلِّ مكَابرٍ وعَنيدِ
وانشُر لقومِكَ يا أخي في الله قِصّـ   ـتكَ التي حفلَتْ بكُلِّ مفيدِ
فلعلّ فيهِم جَاهلاً أو حَائراً   أو سَائراً في شارع مَسدُودِ
ولعلّ فيهم من لهُ قلبٌ فيلـ   ـقِي السّمعَ للتذكيرِ غير بعيدِ
واشرحْ لهم من معجزاتِ الملَّـ   ـةِ الغَراءِ ما يُغنِي عن التّحديدِ
واضرِبْ لهم مثلاً حياةَ محمَّدٍ   فحياتُه نُورُ الليالي السُّودِ

* * *

الجَزائرُ

ثورة توّجها الاستقلالُ في العيد الأول لاستقلال الجزائر:

جهادٌ مرير بعضُ ويلاته الحرْبُ   /   به انتزعَ استقلاله البطلُ الشعبُ
على قمم الأَوراسِ من أرض أمتي   /   مجالٌ لعشاقِ العلى شَيِّقٌ خصبُ
وآياتُ مجدٍ خطَّها الدمُ قانياً   /   ونصرٌ حداهُ البذلُ والطّعنُ والضربُ
فيا شمسُ ردِّي بالتحيةِ للأولى   /   أضاءُوا شمُوساً فوقَ مجراكِ لا تخبُو
وحيِّ البطولاتِ الخوالدَ وافضَحي   /   ظلامَ الليالي واقذِفي النارَ يا شُهبُ
ويا أرضُ قصِّي للعوالمِ سيرةَ الـ   /   ـبطولات مما لا ولنْ تحفظَ الكتبُ
ويا موكبَ التاريخِ مَهلاً فهاهُنا   /   صَحائفُ أمجادٍ ينوءُ بها الركبُ
وما هيَ إلا ثَورةٌ عربيةٌ   /   لها في درُوبِ المجد منطلقٌ صعبُ
أثارَ شظاياها وأذكَى أُوارَها   /   رجالٌ على نيلِ المنَى بالقنَا شَبُّوا
قضَوا أمرَهم في بُرهةٍ وتعاهدُوا   /   على نهضةٍ يرضَى بها الربُّ والعُربُ
وقالُوا عقدنا العزمَ إن ننقذَ الحمَى   /   ونلهِبَها شعواءَ يعنو لها الغَربُ
ونُلقي على المحتلِّ درساً مذاقُه الـ   /   ـهزيمةُ والعارُ الذي ما له طِبُّ
يميناً بأن تُمسي الجزائرُ حرةً   /   وأن لا يعيثَ اليوم في سوحِها كلبُ
وهُبوا إلى ساحِ الكفاحِ قوافلاً   /   كسِربٍ إلى العلياءِ يتبعُه سِربُ

بكـل أبيٍّ بـاليقين مُـسلّحٍ   يطيبُ على حوضِ المنايا لـه الـشُّربُ
وهاجت فَرنسا واستشاطتْ وسيّرتْ   جحافلَ من أعدادها وجبَ الرعبُ
مـزودةً حُـبلى بكـلِّ مـدمِّرٍ   وكـلِّ سـلاحٍ فاتـك الـداءِ مُنصَبُّ
وأمَّـر فيهـا كـلَّ علـجٍ وحاقـدٍ   لئـيمٍ وفقـدان الـشعور لـه دأبُ
فجاروا وساموُا الناسَ خسفاً وطبقوا   أسـاليبَ منهـا الخطـفُ والنهـبُ
إلى جانـبِ الإفنـاءِ ممـا يعافُـه   ويمقـتُ ذو قلـبٍ ومـن لا لـه قلـبُ
وحـرقِ القُـرى حتـى تُـرى لعُيـونهم   وما حملت وهـي بأيـدي الـبلى نهـبُ
وفنّـوا مـن التعـذيبِ كـلَّ طريقـةٍ   يهونُ لديها الجلدُ والسَّحلُ والـصلبُ
ومـا رحِمـوا شـيخاً تهـدّم جِـسمُه   ولم ينـجُ مـن تنكـيلِهم صـبيةٌ زُغْـبُ
يـساندُهم مـن قـادةِ الظلـمِ مَعـشرٌ   ومن حلفـاءِ الـسُّوء يرفِـدُهم حـزبُ
وظنّـوا بهـذا الـبطشِ والفتـكِ أنهـم   سينهُون أعتَى ثـورةٍ خاضَـها شَـعبُ
فـما وهَنـت يومـاً قواهـا ولا خَبـت   لها جـذوةٌ أو نـالَ مـن عزمِهـا كـربُ
وهيهـاتَ تخبـو نارُهـا وهـي كلَّـما   تعالَى لهيـبُ البغـيِ واحتـدمَ الخطـبُ
تهـبُّ عليهـا نفحـةٌ مـن محمـدٍ   يكـبِّر فيهـا المجـدُ والآلُ والـصحبُ
وظلت تضيءُ الدربَ في غَسق الـدُّجَى   وتكـشفه مهـما تكاثفـتِ الـسحبُ
وتـسطعُ حتـى تـوَّجَ النـصرُ هامَهـا   ونالتْـهُ كـسباً لا يـضارعُه كَـسبُ
وأذعـنَ (دَيقُـولُ) لهـا وتضعـضعتْ   فرنـسا وخـارتْ وانـزَوى جيـشُها
وأشرف الاسـتقلالُ تعلـوه رايـة   حريٌ بها إمّـا استخفَّ بهـا العُجْـب
بنـاه أنـاسٌ للحيـاة كفـاحهُم   وللمـوتِ في أكنـافهم منـزلٌ رحـبُ
ونـالوه قَـسراً بـاهظَ القِـيم غاليـاً   بمليـونَ ممـن يعـشقُ المـوتَ أو يربُـو

فيـا أيهـا الأحــرارُ مــن عــل نخلــة ويا من يظــن الظلــم مرتعــه خِـصْبُ
حلفــتُ بــأن النــصر ملــكُ مجاهــدٍ وللحــق ســيفٌ لا يكِــلُّ ولا ينبــو

* * *

يومُ العُروبةِ !

إلى ملوك ورؤساء الدول العربية، بمناسبة اجتماعهم التاريخي بالقاهرة، لبحث تحويل إسرائيل لمجرَى (نهر الأردن)؛ ١٣/ ١/ ٦٤م، بعد قطيعة بينهم دامت فترة غير قصيرة:

وصْـلُكُم بعـدَ أن يَعِـزَّ اللقـاءُ ... حلُـمٌ رحّبـتْ بـه العليـاءُ
ورنَـتْ نحـوَ العروبـةِ في شَـو ... قٍ وغنَّـت بـذكرِه الـصحراءُ
بُوركَـت دعـوةٌ وبُـوركَ يـومٌ ... شَـعَّ بعـد القنـوطِ فيـه الرجـاءُ
وتلاقَـى مـن أمتـي كـلُّ قَـرمٍ ... مِـن سـناها في وجهـه سـيماءُ
فـاجعلوهُ يومـاً جَـديراً بلقيـا ... كـم عـلى جـوِّه يـرفُّ الإخَـاءُ
واجعلـوهُ بدايـةً لحيـاةٍ ... يرتَـضيها الآبـاءُ والأبنـاءُ
واقـبُروا ماضـياً بـه عـصفتْ رُو ... حُ التّجـافي وسَـادتِ الـشحناءُ
واسـتبدّت بنـا الخلاعـاتُ حتـى ... سَـخِرَ الـشامتونَ والـسُّفهاءُ
وغـدَونا أضـحوكةً كـلَّ يـومٍ ... مـن إذاعاتِنـا يُطـلُّ الغبـاءُ
نرسِـلُ القـولَ في الأثـيرِ جُزافـاً ... كـلُّ مـا فيـه منكـرٌ وهـراءُ
لـيس هـذا للمـشكلاتِ علاجـاً ... إنـما تلـكَ فتنـةٌ هوجَـاءُ
تـصطَلي نَارَهـا الـشعوبُ انهيـاراً ... وانـشقَاقاً ويكتَـوي الـزعماءُ

يـا بنـي أمّتِـي؛ ملوكـاً تـساعَوا   يـوم هـبَّ النـدا، ويـا رؤسـاءُ
إنكـــم قـــوةٌ فإيـــاكمُ أن   تتركوهَـا يـأتي عليهـا الفنـاءُ
إنكـم قُـوةٌ إذا مـا اسـتُغلّت   ردتِ المعتدين مـن حيـثُ جاءُوا
وحِّدُوا الصفَّ واجمعُوا الأمرَ تأتي   الأرضُ طَوعاً وتـستجيبُ الـسماءُ
وحِّدُوا الصفَّ واجمعوا الأمر تنقَـا   دُ لمـا تفرضُـونه الأقويـاءُ
وتعُـدْ عنـوةً إلـيكم فِلَـسطينُ   ويجلـو عـن أرضِـها البعَـداءُ
وتزيلـوا عـن جـيلكم ألـفَ عـارٍ   ألحقتـه الهزيمـةُ النكـراءُ
في يديكُم مفاتِح النـصرِ إن شـئتُم   وواضـيعتنا إذا لم تـشاءوا

* * *

لا كنتُ منْ أمةٍ تحيَى بلا غَضَبِ!

من وحْي الواقعِ العربيِّ الأليمِ الذي أصبحت فيه (**إسرائيلُ**) تسرح وتروح في أرض وأجواء الوطن العربي، وتعتدي كما تشاء دون أن يحرك العربُ ساكناً خانعين خاضعين.

جيلُ الضياعِ وجيلُ الرقصِ والطَّربِ ... مِن أمَّتي مالذي أبقيتَ للعربِ
سلبتهم كلّما أوتُوه من شَمَمٍ ... ومن إباءٍ ومن عزٍّ ومن حسَبِ
ورُحتَ تُوسِعُهُم ذُلاً ومسكنةً ... وفرقةً نارُها مشبوبةُ الحطبِ
جموعُنا تنشُد السلوَى وتطلبُها ... وإن هي امتنعتْ تشتدُّ في الطلبِ
وتَهدرُ العمر في إشباعِ رغبتها ... وتبذل المالَ أكياساً من الذهبِ
إذا شَدَت (أم كلثوم) بأغنيةٍ ... تمايل الشعبُ في وجدٍ وفي صَخبِ
وأن تراءتْ لهم (فَيروزُ) خلتَهم ... قد حرّروا **القدسَ** من أحضان مغتصِبِ
أما القياداتُ في أرجاءِ أمتِنَا ... فأمرُها عجبٌ يدعُو إلى عَجَبِ
يُلقِي العدوُّ عليها كلَّ شَارقةٍ ... درساً بلاغتُه لم تلفَ في الكتُبِ
فيعتدي كلما شاءَ الغرور له ... في كل ناحيةٍ في **الموطنِ العربي**
والقومُ في شغُلٍ عنه بأنفسهم ... وبالملذّاتِ والسلطان والنشَبِ
وبالعداوتِ فيما بينهم عصفَت ... بريحهم وأحالتهم إلى نصَبِ

أنتم أمامَ عدوٍّ كلكم هدفٌ ... يسعى لتحقيقه بالجدِّ والدأبِ
سلوا (**العراق**) سلوا (**لبنان**) عنه سلُوا ... (**مصرَ**) سلوا (**بلدَ الإسْرا بخيرِ نبي**)
شيوخُكم في تأسيهم ونسوتكم ... تحبّكم وصراخ الصبية الزغُبِ
حتى متى لم تحرّكْكم جرائمُه ... ولا تلامسُ فيكم نخوةً لأبي!
هل نحن من حجَرٍ صيغَتْ مشاعرُنا ... أم نحنُ مَوتى فلم نسمعْ ولم نُجبِ
كلاًّ! ولكنه حُبُّ الحياة دهى ... أخلاقَنا فانقلبنَا شرَّ مُنقلَبِ
أُسْدٌ على بعضِنا أمّا أمامَ عِدا ... نَا فالقضيةُ والموضوعُ ذو شَغَب!
والاحتجاجاتُ فيها ألفُ متَّسعٍ ... وألفُ منعطفٍ يُفضي إلى الهرَبِ
جَلّ المصاب ووافتنا الخطوبُ فهَل ... من وثبةٍ يا بَني أمّي وآلَ أبي
ألا نفوسٌ أبيّاتٌ تحسُّ ألا ... بقيةٌ من دمٍ يا أمةَ العربِ
تَحَينَ عرضُكِ مهتُوكٌ بلا غَضبٍ ... لا كنتُ من أمّةٍ تحيَى بلا غضبِ
في كلِّ يومٍ لنا شكوَى نقدِّمها ... أسلوبُها قطعةٌ من رائعِ الأدبِ
ونملأُ الأرض أصواتاً وجعجعةً ... ونشْحنُ الجوَّ بالتهديدِ والخطَبِ
ونسألُ الناسَ أن يأتُوا لنجدَتنا ... وأن يخفُّوا لكشفِ الضر والكُربِ
ويبذلوا المالَ والأرواحَ من أجلِ أعْـ ... ـيُنِنا وأن يثأرُوا للسادة النجُبِ
ونكمِلُ الضجَّةَ الكبرَى بمؤتمرٍ ... نصوغُ فيه قراراتٍ من اللهَبِ
وينتهي الأمرُ إذ تبقَى قضيتُنا ... محفوظةً بين أكداسٍ من الكتُبِ
دعوا مفاهيمَ ليسَتْ من طبيعَتِنا ... يعافُها خلُقُ الإسلامِ والعربِ
ما بينَها أيها المزمِّلُونَ بها ... وبيننا منذُ بدءِ الخلقِ من نسَبِ
غريبةٌ هي عن أرضي وعن أفُقي ... مرفوضةٌ هي من لحمي ومن عَصبي

والغــربُ ! مــا الغــربُ إلا سِرُّ نكبتنــا ... وأصـــلُ مــيلاد صِـــهيونٍ بغَــير أبِ

دســائسُ القــوم مــا انفكّــت تلاحِقُنــا ... بفطنـــــةٍ ولــــسانٍ مـــاكرٍ ذَرِب

ولا تــــزالُ تمنّينـــــا وتخــــدَعُنا ... في شــكلِ مــؤتمرٍ أو شَــخصٍ منتــدَبِ

صُوموا وجوعُـوا دفاعـاً عـن كـرامتكم ... واخشوشنوا واسمعوا قولَ النَّبي العـرَبي

وواجهُـوا أمـرَكم بالـصِّدقِ والجـدِّ لا ... بــالفنِّ والجـبْنِ والتمويــهِ والكـذِبِ

وهيئُــوا واســتعِدُّوا للعِــدا برجــا ... لِ مــؤمنين وجــيشٍ قــادرٍ نجِــبِ

وحققُــوا وحـــدةَ (الله) غايتُهـــا ... والعلــمُ عــدَّتُها والبــذلُ في النــوَبِ

أو لاَ ! ســنبقى نعــاني موقفــاً حرِجــاً ... صــعباً يجـرُّ لحـالٍ جـدَّ مـضطربِ

حتــى نفاجــأ في يَــوم بكارثــةٍ ... هوجـاءَ تتبـعُ قَطْـعَ الـرأسِ بالـذَّنبِ

* * *

حَريقُ المسجدِ الأقصَى[١]

أقدمت إسرائيلُ عام ١٩٦٩م، على إشعالِ النار في المسجد الأقصى المقدس، فاحترق بعضٌ منه:

ما بعد حَرقِ القُدسِ من مَطلبِ | للخَصم إلا الحرمُ اليثربي
وبطنُ هذي الأرضِ خَيرٌ لنَا | إن نحنُ لم نثأَرْ ولم نغضَبِ
إن نحنُ لم نقذفْ بطاقَاتِنا | إلى لظَى معتَرَكٍ مرعبِ
أيحرَقُ الأقصَى وأجيالُنا | تنعُم بالمأكَلِ والمشرَبِ
أيحرقُ الأقصى ولم يحترقْ | في ثورةٍ عاصفةِ الموكِبِ
ولا تميدُ الأرضُ هَولاً ولا | يصطدِمُ الكَوكبُ بالكَوكَب!
هل خلتِ الدنيا من المسلمينَ؟ | هَل عَقِمتْ أمٌّ بنِي يعرُبِ؟
وأين منا ابنُ أبي طالبِ | ينقضُّ كالصَّعقِ على مَرحَبِ
في كلِّ أسبُوع لنا خُطبةٌ | بليغةٌ الأسْلُوبِ والمأربِ
نشرحُ فيها من شِكَاياتِنا | مشفوعةً بالكلم الطيِّبِ
ما لي وللسِّلم أغنِّي لَهُ | بكلِّ لحنٍ رائع مُطرِبِ
ما لي وللسِّلم و(صَهْيونُ) في | أحقادِهَا تحتلُّ مسرَى النَّبي
السِّلم!! ما السِّلمُ سوَى خُدعَةٍ | في عَالم يحيَى بِلا مذهَبِ

---

(١) نشرت بجريدة الحياة اللبنانية.

لُـبـنَـانُ!

بعد مَوقف الأمةِ العربيةِ السَّلبي مما حل ويحلّ بلبنان، من اعتداءات يهودية، جواً وأرضاً وبحراً، وحصاراً ودماراً واحتلالاً:

غَنُّوا عـلى كـلِّ لحـنٍ وارقـصُوا طربـاً   واسـتبدِلوا بالكفَـاحِ اللهـوَ واللعبَـا
ولا تراعُــوا ونــامُوا مــلءَ أعيــنِكم   فــلا شــعوبَ تقاضِــيكم ولا رُقَبــا
ولــيسَ (لبنــان) تعنــيكم قــضيته   ولا كــأنَّ لكُــم أمــاً بــه وأبَــا
ولـيسَ فيـه رَضـيعٌ مـاتَ مـن ظمـأٍ   ولا نـساءٌ مـضتْ صـيحاتُهن هَبـا
ولا شـيوخُ قـضوا صَرعـى منـازلِهم   أنيـنُهم ينطـقُ الأحجـارَ والخَـشَبا
ولا مــساجدَ يعلــو في منائرهــا   نــورٌ تــضاءلَ في أيــامكم وخَبــا
وهـل حـسبتمْ بـأن الخَـصْمَ في شـغُلٍ   عـنكم وأنّ لكـم مـن بطـشه هرَبـا
كــلا فمهــما تــوانيتم ســيأخذكُم   شــعباً مقطعــةً أوصــالُه إرَبــا
اليومَ (بيروتُ) في أسْرِ العِـدَى وغَـداً   (دمــشقُ) إني أراهــا يومُهــا اقتَربـا
ولـيس (بغـدادُ) عـن صـهيونَ نائيـةٌ   وفي مفاعلِهــا الــذريِّ أيُّ نَبــا[١]
ولا (الريــاضُ) ولا (مِــصرُ) بناجيــةٍ   ولا (الرباطُ) و(عَمّـانٌ) و(أرضُ سَبا)
فكلكــم هــدفٌ للخَــصْم يَرقبُــه   حتــى إذا نــال منــه فرصــةً وثَبــا

---

(١) إشارة إلى غارة إسرائيل على المفاعل النووي العراقي، ببغداد. (الشاعر).

ثُوبـوا إلى رُشْـدِكم يـا قـومُ واتّعظـوا ... وحسبكُم مـا دهَـى (بـيروت) منقلَبـا
فقـد تـداعَى عليهـا جـوٌّ فُـرقَتكم ... نـاراً وجرّعهـا الـويلاتِ والكُرَبـا
حكمتم الخلفَ والبغضَا لبعضكمُ ... بعْـضاً وقطّعـتم الأرحـامَ والنَّـسبا
يـا قـادةَ العُـرب مـاذا عَـن مـواقِفكُم ... يقـولُ مـن قـرأ التـاريخَ أو كتبـا؟
مهـازلٌ ودعايـاتٌ مـضلّلةٌ ... تـصوِّرُ الجهـلَ علـماً، والرضَـا غـضَبا
والفـنَّ والـزُّورَ والبغـضاءَ تنـشرُها ... حقائقـاً كـشُعاعِ الـشمسِ منـسكبا
والجـبنُ فينـا بطـولاتٌ مخلَّـدةٌ ... ونـارُ ذلٍّ نـسمّيها (نـسيمَ صَـبا)
أمـا هزائمُنـا في كـلِّ معـترَكٍ ... فهـي انتـصارٌ عـلى هامَاتنـا كُتبـا
فهـل ألامُ إذا مـا أبَنـتْ ونَعـتْ ... يَراعتـي فـيكمُ الإسـلامَ والعرَبـا!

* * *

ألا هَيا إلى القِمَّةْ!!

قيلتْ بمناسبة انعقادِ «**المؤتمر الإسلامي الثالث**» على مستوى القمة، والتي ابتدأت جلستُه الأولى بمكة المكرمة وفي الحرم المكي الشريف بالذات، ثم واصل بقيةَ جلسَاته بالطائف، من المملكة العربية السعودية:

ألا هيَّـــا إلى القِمَّــــةْ ... نحيِّـــي قـــادةَ الأمَّـــةْ
نحيِّـــي ســـادةً نجبَـــا ... ومـــسئوليةً ضـــخمةْ
ونفــــرِشُ دربَهـــم ورداً ... ونمـــلأُ جـــوَّهُم بَـــسمةْ!
فـــأهلاً في حمَـــى البيـــتِ ... وفي متنَـــــزَّلِ الرحْـــــهْ
وأهـــلاً في رُبَـــى النُّـــورِ ... وفي مـــستودِعِ الحكمَـــةْ
هنـــا الحجْـــرُ هنـــا الـــرُّكنُ ... الّـذي مـا خـابَ مـن أمَّـهْ
هُنـــا العـــزةُ والقـــدْرةْ ... هنـــا المنعَـــةُ والعِـــصْمَةْ
هُنا الكعبـةُ مـن قمَـمِ الــ ... ـــعُلَى والمجـدُ في القِمّـــةْ
هُنـــا تَـــاريخكُم وتُـــرا ... ثُ أمَّـــتكُم ومـــا ضـــمّهْ
قِفُـــوا بجوارِهَـــا وخـــذُوا ... وأعطُـــوا العهـدَ والذمّـهْ
وطوفُـــوا حَولهـــا واستلــــ ... ـــهِمُوا الأمجـادَ والعظمـةْ
قفُـــوا وتـــذكّروا الأقـــصَى ... بقبـــضةِ تلكُـــم الطّغمَـــةْ

أسِيرٌ ليلُهُ خَوفٌ وضَوءُ نهارِه عُتمَةْ
تناوَشُه اليهودُ وروّعوهُ ودنّسُوا حَرَمَهْ
لهم في كُلِّ شَارقةٍ على أنحائِه هَجْمةْ
ومنهُم من يحرّقُهُ ومنهم من يَرى هَدمهْ!
وهذي أمّةُ الإسلامِ تحيى الظلمَ والظلمةْ
إليكم شدّتِ الأنظارَ من أقطارِها الجمّةْ
تناديكم بأصواتٍ علَتْ نبَراتِها الصّدمةْ
تناشِدُكم بربِّ البيتِ أن لا تقطعُوا رَحِمَهْ
تناشدُكم أن اتّحِدوا وسُدُّوا هذه الثلمَهْ
تناشدُكم خذُوا القرآنَ دُستوراً وعُوا كَلِمَهْ
تسائلكُم عن الأفغانِ شَعبٍ مزَّقُوا لحمهْ
وما قدمتُموه لها من النّصرَة والخدمَةْ
وعن (حربِ الخليج) وإنها في جيدِكُم وَصْمةْ
وقتلِ أخٍ أخاه بنَارِها وأباهُ أو أمّهْ
دسائسُ حاكَها الأعداءْ وأصبحنا لها طُعمَهْ
وأنتمْ بهمُ أدرَى! وأطماعِهِمُ الجمّهْ
فقد جربتمُ الغربَ وذقتُم سَادتي سُمّهْ
وما برحتْ مكائدُه تمارس ضرنا جرمهْ
وفي العمِّ (سامَ) مِرآةٌ نَرى في وجهِهَا ظُلمَهْ
ويمّم بعضُنا الشّرقَ يبثُّ بساحِه همّهْ

سـبَته منـه ألحـانٌ ... وصـوتٌ سـاحرُ النغمَـهْ
يقـول مـع الـضّعيف: أنـا ... أخاصِـم دونـه خَـصمَهْ
وأحميـهِ وأنـصرُه ... وأبـذُلُ مخلِـصاً دعمَـهْ
وفي الأفغـانِ كارثـةٌ ... تكـذِّبُ في الـورَى زعْمَـهْ
تلاقَـوا يـا بنـي قَـومي ... عـلى البأسـاءِ والنعمَـهْ
ولـمُّوا مـا تفـرقَ إنـ ... ـما أمّـتكم أمّـهْ
وهبُّـوا للعـدوِّ بكـلِّ ... أرضٍ وارفـضُوا سِـلمَهْ
وضـحُّوا في سـبيلِ الله ... بالتّـضيحة الـضَّخمَهْ
وسِـيروا في مـسيراتٍ ... تـضيقُ بكـم مـن الزَّحمَـهْ
ملايينـاً ملايينـاً ... تمجِّـدُ بـارئَ النِّـسمهْ
مهللـةً مكَـبِّرةً ... لـه ذاكـرةٌ اسـمَهْ
إلى القُدسِ الشَّريفِ وعنـ ... ـدَها تنفـرِجُ الغُمّـهْ
ويـصبح شـعبُ صـهيون ... وقـد حلـتْ بـه النقمَـهْ
وبـانَ عـلى حقيقتِـه ... ذلـيلاً لابـساً حجمَـهْ
وأمـستْ أرضُـنا قـبراً ... يـواري تربُهـا جِـسمَهْ
فـإن لم تفعلُـوا، وتقـا ... بلـوا اللطمَـةَ باللطمَـةْ
سـيأتي بعـدكُم جيـلٌ ... ويُـصدِرُ ضِـدَّكُم حُكمَـهْ

❊ ❊ ❊

سَنخُوضُهَا!

على إثْر قرارتِ «مؤتمر القمة العربي» المنعقد بالقاهرة ١٣/ ١/ ٦٤م، لصد تحويل إسرائيل المجرى نهر الأردن هددت وزارة الخارجية الأمريكية باستعمال القوة في حالة حدوث اشتباك مسلح بين العرب وإسرائيل:

سنخوضُها شعواءَ رُغـ ـمَ أميريكا سنخوضُها
ودِماؤُنـا ضِـدَّ العَـدوِّ رخيـصةٌ سـنُرِيقها
وجحيمُهم مهما تلظّتْ لـنْ نَخـافَ لهيبَهـا
ولسوف نفنَى أو نزيلَ عَـنِ الـدِّيارِ غريبَهـا

❋ ❋ ❋

سـنهُبُّ للثـاراتِ صـوبَ (اللُّـدِّ) أو (يافـا) مَواكِـبْ
ونحيطُ (صَهيُونَ) الدَّخِيلةَ بالفَنـاءْ مـن كُـلِّ جانِـبْ
ونـذيقُها الـضَّرباتِ إن شاءتْ درُوساً أو مـصَائبْ
ونزيل هـذي اللعنـةَ الـسـ ـوداءَ مـن دُنيـا الأعـارِبْ

❋ ❋ ❋

يـا ابـنَ العروبـةِ لم يعُـدْ للـصَّمتِ وقـتٌ أو مجـالْ
فاشْهِرْ سِلاحَك وامضِ مُنـ ـدَفِعاً إلى تلـكَ الـتلالْ

واضربْ فإنّـــك قُـــوةٌ   خُلقَـتْ لتحقيـقِ المحَـالْ
لتحيـلَ هـذا الواقـعَ المـــ   ـشئُومَ ضرباً مـن خيـالْ

*   *   *

ولـسوفَ تـشهدُ حيثُما   تمضِي جموعُ اللاجئِينْ
بين الكهوفِ وفي العَراءِ   مـشرَّدينَ مُهلهَلِـينْ
يـستقبلونكَ بالـدُّمُوعِ   وبـالأنينِ وبـالحنينْ
ويناشـدُونكَ بالإخـاءِ   متَى سنصبحُ عَائِـدينْ؟

*   *   *

سَـتعُبُّ أنـتَ بكأسِـهم   إن لم تَـرُدَّ الاعتبـارْ
وتعيدُهم بعدَ (**اللجُوءِ**)   مكـرَّمين إلى الـديارْ
وتعيـدُ سَـاطِعَ بـسْمَةٍ   خفتَتْ بأفواهِ الصِّغارْ
سـتعبُّها إن لم تُخـضْ   من أجلِهمْ شرَفَ الغِمارْ

*   *   *

زلزال اليمن[١]

أثار الزلزالُ المدمرُ في منطقة (ذَمَار) باليمن العزيز، كوامِنَ الشاعرِ ولواعجَه، وقد سجّل هذه الأحاسيسَ في القصيدة التالية، التي يقدمُها إلى أبناء اليمن الكرام:

دُكّت (ذَمارُ) وهدّها الزلزالُ ... وتجاذبَتْ أنحاءَها الأهوالُ
في لحظة دهَم القضاءُ ربُوعَها ... فانهارَ منبَسطٌ بها وتلالُ
فالأرضُ من جزعٍ تميدُ وتنظرُ الآ ... فَاقَ رعبٌ والسماءُ وبَالُ
وتصدَعَتْ شُمُّ الجبالِ، فمَن رَأى ... جَبلاً يسيرُ وقمّةً تنهالُ؟
وعدَتْ عليها العادياتُ فأصبحَت ... خبراً روتهُ قصيدةٌ ومقَالُ
سُدَّت منافذُها فما من مخرجٍ ... منهَا ولا حِلٌ ولا تَرحَالُ
وسفوحُها الخضرا تحوَّلَ لونُها ... قَانٍ عليه من الدماءِ ظِلالُ
وخبَا النهارُ بها فليسَ الصبحُ في ... أرجَائها صُبحاً ولا الآصالُ
كم أسرةٍ كانتْ هناك سعيدةً ... يحنُو عليها الحبُّ والإقبالُ
فإذا سعادتُها ظلامٌ دامِسٌ ... وشَقاوةٌ وتعاسةٌ ونكَالُ
وجميلةٍ كملت محاسنُها فلَم ... يشفَع لها في الحادثاتِ جمالُ
ولرُبَّ شيخٍ أو شيوخٍ ركَّعٍ ... يكسوهُم الإخباتُ والإجلالُ

---

(١) نشرت بجريدة المدينة بجدة عدد (٥٧٧٧)، بتاريخ: ٢/ ٤/ ١٤٠٣ هـ.

ولـربَّ أطفـالٍ هنـاك عـلى مَـلا عِـبِهم ومـا أدراكَ مـا الأطفَـالُ
وتقاطرت زُمَر الـشبابِ عـلى مَعـا هــدِ علمهِــم تحــدُوهم الآمــالُ
فـإذا الجميـعُ وقَـدْ تنـاثَر جمعُهـم وإذا الــديارُ: حجــارةٌ ورمــالُ
وإذا ألـوفُ اللاجئـينَ تراكـضَتْ ذُعْــراً وفي كــلِّ اتجــاهٍ مَــالُوا
كفلُـول جَـيشٍ هـاربٍ لا يـستقِرُّ لـــهُ قَـــرارٌ أو يقيـــهِ مجـــالُ
صبراً بني اليمنِ العزيـزِ فكـلُّ مخـ ـــلوقاتِ عالمَنـــا لهـــا آجَـــالُ
هــــذا قـــضاءُ الله في ملكُوتِـــه ولـــهُ يـــردُّ العلـــمُ والأعـــمالُ
فتوجّهُـوا نحـو البنَـا وأمَـامكم مـــن عَـــونِ ربِّ العـــالمينَ مجـــالُ
والعـزمُ والإيـمانُ مـن أخلاقِكُـم والجـــدُّ فـــيكُم شـــيمةٌ وخِـــلالُ
ولكـم سـجلٌّ في الكفـاحِ مـشرِّفٌ ومواقـــفٌ تعنُـــو لهـــا الأبطـــالُ
أتُـرى أعـزّيكُم؟ وكيـفَ؟ وأنـتمُ الأهلُـــون والأعـــمامُ والأخْـــوالُ
واللهُ والإســـلامُ وحّـــدَ أمرَنـــا ومحمَّـــــــدٌ وصِـــــــحابُه والآلُ
يا (فهدُ) أرضيتَ المـروءةَ والنّـدى وتقـــدمتْ أقوالَـــك الأفعـــالُ
وعرفـتَ للقُرْبَـى مكانتَهـا فـسا لَ العـــونُ دفّاقـــاً لـــه إرقَـــالُ
وتتالـتِ النجـداتُ منـكَ عظيمـة فـــالبرُّ يزحَـــفٍ والـــسما أرتـــالُ
وتعالـت الدعواتُ تمحَضُكَ الثنـاءْ ومضَت بِحُسنِ صـنيعكَ الأمثـالُ
ولأنـــتمُ رمـــزٌ لدَولـــةِ عَـــصرِنَا ولكـــلِّ عَـــصرٍ دولـــةٌ ورجَـــالُ

❊ ❊ ❊

اجتماعیات

تَـهنئةٌ

قُدِّمتْ إلى فضيلة العلامة المفكر، والأديب الشاعر، **السيد حامد بن أبي بكر المحضار**، عقبَ عودته إلى جدة من **لندن** للعلاج:

قدمتَ قُـدومَ الغيـثِ يـا ابـنَ أبي بكـرِ ... فــأَوْرقَ في أحيائِنـــا كُـــلُّ مُغْـــبَرِّ
وعُـــدتَ إلينـــا سَـــالماً بعـــدَ وعْكَـــةٍ ... رأينَـــا لظَاهـــا في جَوانحِنـــا يَـــسْرِي
وتلـــكَ لعَمْـــري نعمـــةٌ جـــلَّ شَـــأنُها ... نقابلُهـــــا بالحمـــــدُ لله والـــــشكرِ
ألم ترهـــا قـــد ضَـــلّلتنا ســـماؤُها ... وقـــد غمرتنـــا بالـــسّعادة والبِـــشْرِ
ودونـــكَ مـــن شَرقِ الـــبلادِ وغَربهـــا ... وفـودُ التهـاني والوفَـا سـيلها يجـرِي
تعـــبّر عـــن أفراحِهـــا واغتباطِهـــا ... وتوليكَ من إخلاصِها غـيرَ مـا تـدري
شـــهورٌ مـــضَتْ ذُقنـــا بهَـــا ألم النـــوَى ... وذلـــكَ أمـــرٌ دونَـــه لَوعـــةُ الهجـــرِ
وعِـــشنا فَراغـــاً واسِـــعاً لا يـــسدّه ... سواكَ وهَل تُغني السّواقي عـن البحْـرِ
أقِـــمْ بيننـــا إن البِعَـــادَ أمـــضّنا ... ودُم ســـالماً للعلـــمِ والفكْـــرِ والـــذّكرِ
وعِـــشْ في نَواحيهـــا مَنـــاراً لحجّـــةٍ ... ونسمَعُ مـا يـشفي العليـلَ مـن الـضُّرِّ
وحَـــبراً علـــيماً ينثـــر الـــدرَّ غاليـــاً ... وذا خـبرةٍ بالنـاسِ والـدّهْرِ والعـصْرِ
بـــصيراً بأســـبابِ البيـــانِ إذا انـــبرَى ... تـــدفّق كـــاليُنبوعِ وانـــسابَ كـــالنّهرِ
يفـــيضُ عـــلى رُوّادِه مـــن فهُومِـــه ... مـــآثرَ شَـــتّى لا تقـــوّمُ بـــالتّبرِ
تفـــــردَ بالإقنـــــاعِ في كلماتِـــــه ... وبالحجّـــةِ المـــثْلى وبـــالمنطِق الـــسِّحري

أقِـمْ بيننـا إنّـا عـلى مـا عَهـدتَنا ... وإنـا وإيـاكم لكَالنّبـتِ والقَطْـرِ
وقـصَّ علينـا مـا لقيـتَ بـ(لنـدَن) ... وشـاهدتَه فيهـا بأسْـلوبك المغـرِي
وحـدّث عـن الغَـربِ العتيـدِ ونَهـضةٍ ... تـسيَّرُ بالـصاروخِ والـنفطِ والـذَّرِّ
قواعـدُها بـالعلمِ شِـيدتْ وبـالحجَى ... وبـالكرِّ في سَـاحِ الحيـاةِ وبـالفرِّ
وكيف تـرى الأحـداثِ تجـري حِيالَنـا ... تجاذبُنَـا بالمـدِّ حينـاً وبـالجزرِ
وماذا عن (القُـدسِ الـشّريف) وأهلـه ... وماذا عنِ (السّادات) والموقفِ المصْري
وعَـن (آيـةِ الله الخُمَينـي) وثَـورةٍ ... أصـابتْ أسـاطينَ الـسياسةِ بالـذُّعرِ
تحدّى بهـا الطغيـانَ والبغْـيَ مـن علَى ... مُـصَلاّه حتـى أذعنـتْ قَـادةُ الـشَّرِّ

* * *

شاعرُ الثّقَلينِ!

جمعَت الموهبةُ الشعرية بين الشاعرَين المبدعَين عبدالمحسن حلّيت مسلّم، وأحمد بن علي بافقيه، الذي خصّ الأربعاء بهذه الأبياتِ اللطيفة معاتباً بها صديقه «الحلّيت» على سبيل الدُّعابة، حيث وعدَه بزيارته أكثرَ من مرةٍ ولكنّ ظرَوفه على ما يبدو لم تمكنه من ذلك:

يــا شَــاعرَ الثقلَــينِ	عملتَهـــا مـــرَّتينِ
وإن غفرْنَـــــا لأوْلى	فــلا نطيــقُ اثنتــينِ
جئــتم لجُــدَّة قَــبْلا	وبـــتُّمُ ليلتــــينِ
علمْــتُ ذلــك عــنكُم	من صَاحبِ الطَّـرفينِ
من السليمانِ مــن هُــو	في النقلِ عنكم جُهيني
ومــن يعــيرُ القَــوافي	أذنَـــينِ مُـــرهِفَتينِ
واليــومَ أقبلــتَ تبــدُو	مبخــتَرَ الجـــانِبَينِ
وكنتَ نجْــمَ احتفَــالٍ	ومــلءَ ســمْعٍ وعَــين
وكنــت تختــالُ بالــصَّا	عِ مثلَـــهُ صَـــاعين
وتُنــشِدُ الــشِّعرَ ينــسَا	بُ معرَبــاً وحُمَينــي
وتُطــرِبُ النــاسَ منــه	بالبيـــتِ والبيتَـــينِ

وكان حظّي كما شئـ ـــتُموهُ صِفْرَ اليدَين
فلم يصلني تلكْسٌ يفيدُ في سَطْرَين
بأنكُم عَن قَريبٍ تأتون يَا «بعْدَ عَينِي»
كلاّ! ولم تخبروني بذاكَ في كلْمَتين
وعندكُم يا صَديقي لهاتفِي «رقمَين»
فلا وربكَ لا يسْـ ـتوي وصالٌ ببَين
ولا عيانٌ بوصْفٍ ولا عطاءٌ بدَينِ
لسوفَ أشكُوكَ يوماً «لنَدْوةِ الإثنين»
شكوَى يظلُّ صَداها يرِنُّ في الخافِقَينِ
وسوفَ أجفُو القوافي وكلَّ ما كان بَيني
وبينَها من صِلاتٍ قويةِ السَّاعدينِ
وسوف أرْجعُ عنها أرضَى بخفَّي حُنَينِ!

❊ ❊ ❊

لحيةُ أبي حاتم!

لحيــةُ سَــامي وأبي حَــاتم تقـصُر أحيانـاً وحينـاً تطُـولْ
فلــم تكَــدْ تبــدو لنــا كثَّــةً تجتذبُ الأنظـارَ حتّى تـزولْ
فــلا نــرَى غــير خيــالٍ بهـا أو شعراتٍ قد عَراها الـذُّبولْ
فيــا خلــيليَّ اعــذُراني فمِــنْ طبيعتي الجهرُ وحبُّ الفضُولْ
ولي بكُــم في مــذهبي أسْــوةٌ ولي على قَـولي شـهودٌ عُـدُولْ

❊ ❊ ❊

تـهنئةٌ

تهنئة للصديق الكريم حسين أحمد بن راجح(١) بمناسبة عقد قرانه:

جــادَتْ علينَــا وحيَّتنــا ليالِينَــا ورفْـرفَ الـسَّعْدُ في أنحَـاءِ نادينَـا
وأقبلتْ سَـاجعاتُ الطَّـير في وَلَـهٍ بكُـــلِّ لحــنٍ وأنغَـــامٍ تحيِّينَـــا
والجـوُّ يعبِـقُ بالأنـسَامِ عَــاطرَةً وَرْداً وفُــلاً وريحانــاً ونَــسْرينا
ونحنُ من فرَحِ الأحباب في فَـرحِ فقـد تحقَّـق مـا شَـاءُوا ومـا شِـينا
جئنا نحثُّ الخطَى سعياً على عجلٍ ولـو قـدَرْنا عـلى هَاماتنـا جِينـا
نـشاركُ الـسيدَ المفـضَال بهْجتَــه حسينُ مـن كَمُلَـتْ أخلاقُـه فينـا
يا ليلةً جمعَت خيرَ الأصولِ وضمّـ ـــت خــيرَ رهْــطٍ أخــلاءً محبِّينـا
من آل راجِحَ من أوتُوا ومن سَلفُوا مراتباً حوتِ الإخـلاصَ والـدِّينا
بـذاك يـشْهَدُ بيـتُ الله مـن زمَـنٍ ويشهدُ النـاسُ، أهـلاً أو مُقيمِينـا

* * *

(١) من أهل مكة المكرمة، تجمعه بالشاعر صلة قرابة.

بين الخبَرِ والعيانِ!

لبنانُ قـالُوا: حَبـاكِ الحـسْنِ منزلـةً حفّتْ بها ورعَتْهَـا الأنجـم الزُهُـرُ
وقلَّــدتْكِ يــدُ الإبــداعِ أَسْـــوِرَةً مـن المفَـاتِنِ مـن أصْـدافها الـدُّرَرُ
فجئتُ ساحَكِ مبهُـوراً بـما حملَـتْ عنـكِ الأسـاطيرُ أو وافَى بـه الخـبَرُ
فكنتِ أبدَعَ من وصْفٍ سمعتُ بِـه وكنــتِ أجمــلَ ممــا كنــتُ أنتظِــرُ

عالية؛ سبتمبر ١٩٦١م.

* * *

إلى الصديقِ بَاريَّانْ

إلى الصديق الشيخ سعيد عمر باريان(١):

أَسَـــعيدُ إنَّـــكَ فاضـــلٌ وإذا انتقـدْتَ فأنـتَ أهْـلُ
لله درُّكَ مـــــن فتًـــــى عَشِقَ الفَضيلَةَ وهو طِفْـلُ

* * *

(١) تاجر من سكان جدة، عمل أبياتا حول موضوع محاضرة أدبية عنوانها: «من هو الأديب؟» ألقاها الأستاذ الكبير محمد حسين زيدان في أحد النوادي الأدبية، فقدم باريان مشاركته التي أثارت إعجاب الشاعر بافقيه فكتب هذين البيتين، مع الشيخ محمد بافضل.

وَارِثُ السِّر

ألقيَتْ بين يدَي الداعيةِ الإسلاميِّ الكبير، **السيدِ عبد القادر بن أحمد السقاف:**

إن يسبِقُوني إلى سَاحاتِ فَضلكمُ فنيّتي ولسانُ الحالِ يشفعُ لي
ولستُ أنكرُ أن السبقَ مفخَرةٌ وإن شأوَ ذويه مضربُ المثَلِ
هم يركبُونَ متونَ الطائراتِ متَى شاءوا وأقطعُ أسفاري على جَملِ
وينطحونَ رقِيقَ الشِّعرِ مُرْتجلاً سَهلاً وأنحتُ أبياتِي على مهَلِ
خُذني فديتُكَ وامنحِني محبّتكم يا وارثَ السِّرِ عن آبائِه الأولِ
فقدْ أحاطتْ بي الزّلاتُ واتّسعت مخاوِفي فهي من خَلفي ومن قِبلي
أقولُ قولاً ولا أعدُو مقَالتَه أستغفرُ الله من قولٍ بلا عَملِ
ضاعتْ عليّ درُوبي وهيَ واضحةٌ وطالَ ليلي وضَاقتْ دونه حِيلي
وراودتْني ذنُوبي فانحنَيتُ لها وها هيَ اليومَ عِبءٌ غيرُ محتَمَلِ
فجئتُ ساحَكَ أبغي من نداك قِرَى ومن دعائِك ما أمحُو به خَطَلي
ففي حماكَ يرَى العافُونَ بغيَتهم ويظفَرُ الطالبُ الحيرانُ بالأمَلِ
وفي عُلاكَ يكونُ القولُ ذا سعَة وفيه خيرُ مَجالاتٍ لمحتفِلِ
حَسبُ القوافي ارتياداً في رحابكُم وحَسْبُ من شاءَ تحليقاً على عَجلِ
ليشهدَ الحسْنُ في أسمَى مظاهرِه مكلّلاً جنباتِ السهلِ والجبَلِ

وينظرُ المثُلَ العليَا مجسّدةً ... والعلمَ والفضلَ والأخلاقَ في رجُلِ
دعْني مع الفَضلِ إني لي به وَلعٌ ... ولي ميولٌ وأشواقٌ إليه ولي
كَم في مصلّى هواهُ بتُّ معتكِفاً ... وكم نسَجتُ له ثوباً من الغَزلِ
وكم تغنيتُ نَشواناً بفتنتِه ... أردّدُ اللحنَ بعدَ اللحنِ في جَذلِ
مالي وللناس إن جاءوا وإن ذهبُوا ... مالي وللعَذلِ إني عنهُ في شغُلِ
إني بحَضرة مهديٍّ وداعيةٍ ... يدعُو إلى صالحِ الأعمالِ والسُبلِ
أقوالُه من كتابِ الله مرجعُها ... ومن تعاليمِ طه سيدِ الرسُلِ
ترَى الجموعَ لديهِ وهو من سعةٍ ... يسخُو عليها بلا مَنٍّ ولا عِلَلِ
الكوثرُ العَذبُ يروي كلَّ ذي ظمأٍ ... إذا تكلمَ أو كالعَارضِ الهطِلِ
في نُطقه من حَديثِ المصطفَى قبسٌ ... ومن بيانِ أميرِ المؤمنينَ علي
يلقِي الأحاديثَ في سرٍّ ويرسِلُها ... عَفواً فتأخذُ بالألبابِ والمقلِ
ويسمعُ الناسَ من وعظٍ ومِن حِكَم ... بليغةٍ تنقذُ الغَاوي من الزلَلِ
ومن مخاطبةٍ تغري، وفلسَفةٍ ... تَسبي، وصُوفِية تشفي من العلَلِ
فينثنُون ثُمالَى بالسّماعِ لهَا ... فهل أتاكَ حديثُ السامعِ الثمِلِ!
يا صاحبَ الطالعِ الميمونِ مَعذرةً ... لا المزنُ مُزني ولا الأنغامُ من زجَلي
شمائلٌ علَوياتٌ عُرِفْتَ بها ... وبسطةٌ في مجالِ العلم والعملِ
هي التي أنطقتْ وهي التي صَنعتْ ... شِعري ولا نَاقتي فيه ولا جَملي

* * *

زَينُ المحَافلِ

قُدِّمت إلى العلاّمة الصالحِ، الداعية **السيد عبد القادر بن أحمد السقاف**:

مقامكَ أسمَى من محاولَةِ الأعْدا وأرفعُ مما ظنّ حاسُدكُم بَنْدا
وحظّك موفورٌ ومجْدُكَ باذخٌ تصُوغُ المعالي كلَّ يومٍ له عِقْدا
فماذَا عسَاهُ ناطحُ الصّخرِ بالغناً وهل لمياهِ النهرِ والبحْرِ أن تصْدَا
أبَى منطِقُ الأغْرارِ والحاقدينَ في أولي الفَضلِ إلا أن يكيدُوا لهم كَيدا
وذلكَ سِيماءُ النّهَى وضريبةُ الخلُو دِ وعنوانُ الحفاظِ على المبْدَا
لمثلكَ في آبائِكَ الصّيدِ أسْوةٌ فكَم سمِعُوا لغْواً وكمْ صادفوا ضِدّا
فمرّوا بلغْوِ الجاهلينَ أعزّةً كِراماً ولم يولُوه همّاً ولا جُهْدا
هم القومُ يستهزِي بهمْ كلُّ وافدٍ عليكُم ولا نخْشَى وَعيداً ولا وعْدا
هم القومُ فاقصُصْ مِن أحاديثِ علمِهم وزدْنا بهمْ علماً كما زدتَنا رُشْدا
هم القومُ يُستَسقَى الحيَا بوجُوهِهم هم القومُ لا تحصَى فضائلُهم عدًّا
حياتهمُ هديٌ وسَمتُهم تقًى وتاريخهم نورٌ لمن بعدَهم يُهدَى
من النفَرِ الغرِّ الذين إذا انتمَوا ترَى فوقَهم نورَ النبوّةِ ممتدّا
وما أنتَ إلا واحدٌ من رَعيلهم ومستلهِمٌ من طِيْب ريّاهم الرشدَا
وما أنتَ إلا حارسٌ لتُراثهم أمِينٌ عليه لا يكلُّ ولا يهدَا

حَبـاكَ الـذي أعطـاهُم مـن هِباتـهِ وأولاكَ ما يـستوجِبُ الـشكرَ والحمْـدا
صـلاحاً وإصـلاحاً وعلـماً وسُـؤدُداً ووعظاً يلينُ الـصعبَ والحجَـر الـصّلدا
إذا قمـتَ مـا بـين الجمُـوعِ مـذكّراً أصاغتْ لك الأسماعُ وانتفضتْ وَجْـدا
وأنـتَ تغـذّيها بيانـاً وحكْمـةً وتـسكُب في آذانهـا الـذكرَ والزّهْـدا
نـصائحُ مـن قلـبٍ سـليمٍ تـسوقُها فتأخـذُ تلقـاءَ القلـوب لهـا قَـصدا
رعتْـكَ مـن المـولَى الكـريمِ عنايـةٌ وأوكَـل في مَـسراك مـن جُنـده جُنـدا
فـديتُكَ مـن حَـبرٍ عظـيمٍ موفّـقٍ فمثلُـك يـا زيـنَ المحافـلِ مـن يُفـدَى

❊ ❊ ❊

في مِهرَجَانِ الشّاطِريّ

الأستاذ العلامة المؤرخ **السيد محمد بن أحمد الشاطري**، أقام بعضُ تلامذته له حفلةَ تكريمٍ كُبرى، ألقيَت فيها الكلمات، وأُنشِدتْ القصائدُ، وهذه إحداها:

أتُرانـــا بالحفـــلِ والمهرَجَـــانِ ... وبنشْـــرِ الـــورُودِ والرّيحـــانِ
نَمـنحُ العلـمَ بعـضَ حـقٍّ عَلينـا ... ونجـازي الإحْـسانَ بالإحـسَانِ
إن أهـــلَ النهَـــى بـــذلِكَ أدرَى ... وعـلى المحتفِـين نَحـتُ المعـاني
أيّهـــا الـــشاطريُّ يـــا عَلـــماً شـــ ... ـــعّ ســناهُ بالفـضلِ والعِرفَـانِ
أنـــتَ أتحفتَنـــا بمكنـــونِ علـــمٍ ... قـــد تَـــوارى في عَـــالم النِّـسيان
وبذلتَ الجهُود في البحثِ والتحـ ... ـصيلِ يحـدوكَ صـادِقُ الإيـمانِ
أنـتَ! مـا أنـت! أنـتَ موسُوعَـ ... ـةٌ مـن أدبٍ واسـعٍ رَفيـعِ المعـاني
أنـتَ! مـا أنـت! أنـتَ مفخـرةٌ لم ... يختلـــفْ في وجُودهـــا إثنَـــانِ
زانَـك العِلـمُ والتواضُـع والفِقْـ ... ـهُ تبـدو في العَقـلِ أو في اللـسَانِ
أنتَ! من أنتَ! أنتَ من دَوحةٍ حَـ ... ـوالَـتْ عليهَـا عنايـةُ الـرحمنِ
فتـــدلتْ أغـــصَانُها يانعَـــاتٍ ... دانيـــاتٍ للجـــائعِ اللهفـــانِ
جـاء منهـا «أبـوكَ» نابغـةُ العـصـ ... ـرِ فأهـدَى للـشّيبِ والـشُّبانِ
مـــن معـــاني فهُومِـــه دُرراً فَـــا ... قَـتْ «**يواقيتُهـا**» عقـودَ الجـمان

وكفـاهُ «**العقـدُ النفِـيسُ**» إذا مـا   وُضــعَ العَــارفونَ في الميــزانِ
جــاء منهــا أبــوكَ؛ و«**الحــبرُ**   **عبــد الله**» ذاك المعلِّــمُ الربّــاني
نـاشرُ العلـمِ بـين بـدوٍ وحَـضْر   وقَــصيٍّ بــين الأنــامِ وداني
سَـلِمتْ نـاظراكَ مـن عَـالمٍ فـذٍّ   ولا نــالَ منــك ريــبُ الزّمــانِ
ورعَــاكَ الإلــهُ للعلْــم والآ   دابِ ذخـراً والأهـلِ والأوطـانِ

* * *

سَلْوَى

و«سلوى» هي ابنةُ الشاعر الصغيرة:

رَعــاكِ الله يــا «سَــلوى» | فــما أنــتِ سِـوَى سـلوَى
ومَــا أنــتِ سـوَى شُــغُلِ | أبٍ في الــسرِّ والنجْــوَى
ومَــا أنــتِ ســوى طيــفٍ | تــذوبُ أمامَــه الــشّكوَى
ونـــبراسٌ يــضيءُ حيَــا | تَنـــا ويحيلُهـــا صَـــفْوا
أجـــيءُ مفكّـــراً تعِبـــاً | عـــلى المــشْيةِ لا أقــوَى
فألقـــاكِ عـــلى البَـــابِ | مرحّبـــةً بمـــن تهـــوَى
معانقـــــةً مقبّلـــــةً | فأنــسَى الهــمّ والــلأواءْ
وتــأتي أمّــكِ الأخْــرَى | وإخوانُـــك والأخَـــوا
ونــدخُل بــين ضَوضــاءٍ | محبّبـــــةٍ إلى المــــأوَى
وأنتِ عـلى الجميـعِ تُـوزّ | عــينَ البِــشْر واللهْــوا
فتـــأتينَ عـــلى مهَـــلِ | وقَــد تــأتينَني عَــدْوا
وقَـــد تـــأتينَني مـــشْياً | وحينـــاً ثانيـــاً حبْـــوا
رعــاكَ الله يــا «ســلوى» | فمنا أنت سِـوى سَـلوى
وحيّـــــاكِ وبيّـــــاكِ | وعافــاك مــن البَلْــوَى

إلَى البِيْضِ

أُرسلَت إلى الصّديق الكريمِ الأديب، **السيد محمد عبد الله البيض**، بالظّهران شرقَ المملكة العربية السعودية، إثْرَ زيارةٍ عابرةٍ لها عام ١٣٧٠هـ، لَقي من صديقهِ «**البيض**» كلّ حفاوةٍ وإكرام خلالَهَا:

إلى «**البيضِ**» في الجبل المـشْمَخِرّ — إلى «**البِـيض**» في المنـزِل المزدَهِـرْ
نقــــدّمُ أزكَــــى تحياتِنــــا — قَــوافٍ مــن الــشّعر لا تَنــدَثِرْ
لهــا رقــةٌ كالنــسيم العَليــــ — ــلِ وَوقْــع جميــلِ لمــنْ يعتَــبِرْ
ونــذكُر في (أســمرا) شِــلّةً — مثــالَ الوفــاءِ لمــن يــدّخِرْ
تخلــت بــرُوح فكَاهِيــةٍ — عـن اللّهـو واللغْـوِ لا تزدَجِـرْ
«**محمّـدُ**» مـا كنـتُ أحسِب يَـو — مــاً ولا أستَــسيغُ ولا أنتظِــرْ
بأنّــكَ في هــذِه الفلَــواتِ — وفي بيــدِهَا سَــاعةً تــستقِرْ
ولكنّنِــي بعْــدَ أن زرتُهــا — تلاشَــى خَيــالي وظنّــي خــسِرْ
رأيــتُ بهــا العــالمَ المــستنِيـ — ــرَ في قلْــبِ عَالمنــا المحتَــضِرْ
رأيــتُ الجــمالَ، رأيــتُ الــدّلا — لَ، رأيتُ الهوَى والشبابَ النضِرْ
وآمنــتُ أنّــكَ في جَنّــةٍ — تُلاقِــي الهنــاءَ بهــا واســتَقِرْ
فقَــرَّ بِهــا واتخــذْ مَوطِنــاً — وإيــاكَ إيــاكَ تنــوي الــسّفرْ
وخيّم بـ«**ظَهْرانَ**» والـقِ العَـصا — عــلى أرضِ بترُولِهــا المنفَجِــرْ

شوال: ١٣٧٠هـ

وبعد أيامٍ وافَانا البريدُ بالقصيدةِ التالية من الصديقِ **«البِيض»**:

من **«البِيضِ»** في الجبَلِ المكفهِرّ   كثيرِ السَّمُوم قليلِ المطَرْ
يضِجّ يعِجّ بِسَائلِ علْمٍ   يضيءُ الظلامَ ويُذكِي الشّرَرْ
إلى **«أحمَد»** خيرِ من قالَ شِعراً   ليبعثَ ذكرَى ويحيِي صُوَرْ
سَلامٌ عليكَ شِهابَ الشّبابِ   سلامٌ على الشّاعر المقتدِرْ
تلقيتُ بالشعرِ مكتُوبَكم   فيا لُطفَ ما حَازهُ من خَبرْ
وذكّرني عهْدَ أنسٍ مضَى   وهيّج شَوقاً طغَى واسْتَعرْ
فلستُ بـ**«ظهْرانَ»** أنوي المقَامَ   وبينِي و**«حَوّاءَ»** بُعدُ القَمَرْ
وقد ضقتُ ذرْعاً بها يا صَديـ   ـقِي إلى **«أسمَرا»** الخير هلْ مِن مفَرْ
وليسَ الجبيلُ بنِعْمَ البِلادُ   أتختارُها أن تكُونَ المقَرّ!
أقامَ الأحبّاءُ بها من زمَانٍ   نُزولاً لأمْرِ القَضاءْ والقَدرْ
أخُصّكُمْ بالدعَاءِ الوَفيرِ   فَفِي حَوزِ ربيَ من كُلّ شَرْ
لِيحفَظكُمْ مِن غِلاظِ القُلُو   بِ طِوال العِصيِّ قَصيري النّظَرْ
وممّا يَسيرُ، وممّا يطِيرُ   وممّا يسبّبُ ضَعْفَ البَصرْ!

الظهران

محمد عبد الله البيض

تحيةً لابنْ لاّدن

قيلتْ بمناسبة مشروعِ جَلب مياه الشرب لعددٍ من قُرى «وادي دَوعَنْ» من قبل المحسِن الموفَّق المعلّم الشيخِ عبد الله بن عوض بن لادن، ولم تُنشَر القصيدةُ!، ولم تقدَّم لابن لادِن!:

أنـتَ حقَّقـتَ بالنـدَى والـسّخاءِ ... والتفَــاني والهمــةِ الــشّماءِ

معجــزاتٍ بــدَوعنٍ لم تحقَّــقْ ... فيــه مــن عَهْـدِ أمِّنَـا «حَــوَّاءِ»

أنــتَ أنقــذتَ عَــاجِزاً وفقِــيراً ... دُونَــما مِنّــةٍ ودونَ ادّعَــاءِ

أنت أنجزتَ خالداتٍ مـن الأعــ ... ـمَــالِ تلقَـى بهـا عظـيمَ الجـزاءِ

رُحتَ تستهدفُ الجبالَ الـرّواسِي ... جاهِــداً هازِئــاً بكــلِّ عنَــاءِ

بـاذلاً في سـبيلكَ المـالَ؛ والمـا ... لُ عَــصاهُ سِــحريَّةُ الإيحــاءِ

بُنْيــةٌ صَــمَّمَ المعلِّـمُ أن يُـخْــ ... ـرِجَها مــن صُــخورِنا الـصّماءِ

ورماهَـا بـالعَزمِ فانبجـسَتْ منــ ... ـهَا عُيونــاً مــصَادرُ الإنْــماءِ

وجرَى الماءُ سلسَبيلاً؛ وهـل أحْــ ... ـلَى وأغـلَى مـن سَلْـسَبيلِ المـاءِ!

فــارتوَى ظَــامئٌ وأورقَ عُــودٌ ... ومــشَى النــاسُ بالثنَـا والـدّعاءِ

وإذا المــالُ حــلَّ جَيــبَ كــريمٍ ... ســالَ إنعامُــهُ عــلى الأحيَــاءِ

إنــه المــاءُ يــستحيلُ لدَيــهِ ... كلّــما لم يــرُقْ جميــلَ الــرُّواءِ

رُبَّ قَفْـرٍ ببطنِـه لا تَـرَى غيـــ ـــرَ سَرابٍ أو بُقعَـةٍ غَـبراءِ
جاءَهُ الماءُ فـازدَهى وربَـى واهتـ ـــزَّ في صُـورَةٍ تثِـيرُ الرائِـي
وإذا أرضُـه وقـد أنبتَـتْ مَـن كُـلِّ زوجٍ محاسِـنَ الأشْـياءِ
يا «ابنَ لادِنٍ» يـا مَـن رأيْنـا أياديـ ـــهِ طَاولَـتْ عِنَـانَ الـسَّماءِ
دم محبـاً للـصّالحاتِ وللفَـضْـ ـــلِ وعِـشْ سَـالماً مـن الأرزاءِ
في ظِلالِ الوَادي الأمينِ، ومَـا «دَو عَـنُ» إلا أنـشُودَةُ الـشُّعراءِ

❊ ❊ ❊

مِنْ «لَندَنْ»!

من «لنْدَن»؛ وبعد ١٦ سنة قضاها طبيباً في أحدِ مستشفياتها الدكتورُ الشاعر، **حامدُ بن حسين بافقيه**، ابنُ عمٍّ صاحب «الديوان»، بعث بقصيدة يتذكر فيها أرض الوطن، والأهل، والأحبة، والإخوان، ومنها:

ليسَ بِدْعاً أن يُرغِمَ الـدهرُ حُـراً ... أو تكـفَّ الأيـامُ سُـعداً بـنَحْسِ
ضاقَ أهلٌ بمغْـرَمِ عَـشِقَ الأهْـ ... ـلَ كَما ضاقَ أهلُ «ليلَى» بـ«قَـيسِ»
ضَـاقَ بي نـأيُهم وقـد كنـتُ أولى ... بحِماهـم، وخَمْـرُهمْ كَـان كَـأسِي
آهِ! لـو خالفـتْ هَواهـا الليَـالي ... وأتتْنــي بيُمنِهَـــا قبــلَ تَعْـــسِي
لصفَا الوصْلُ في المغَاني وفاضَتْ ... أمْـــسِياتي بأنْـــسِهم وبأُنـــسِي
يؤلم النفسَ مـا رمَاهـا بـه الدهْـ ... ـرُ جُزافـاً «ومـا أبـرّئُ نفْـسي»
خنتُ عهدي وذمّتـي يـا قَريـضـ ... ـيّ وجاوزتُ في الخيانـةِ حَـدْسي
فيمَ لَـومِي وكـانَ أجـدَى عـزاءً ... قد كفَى اللومَ بُؤسُ حَالي ونَكْسي
إن قَـلاني يَومـاً عـلى البُعْـدِ قَـالٍ ... ليتَه كـانَ رَهْـنَ قَيـدِي وحَبْـسي
وعَـسَى يطلِـقُ الزمَـانُ أسَـاري ... وتُبدّى شَـمسُ الـوِدَادِ وشَمْـسِي

د. حامد بن حسين بافقيه

إلى الدكتور الشاعر حامد بن حسين بافقيه من وحي قصيدته السابقة:

أقبلَـــــتْ .... تبعَـــثُ الـــذكرياتِ والأشْـــجانا
بـــشّرتني بـــأنّ أربـــابَ وُدّي قـد عَنـاهُم مـن أمرِنـا مـا عنَانـا
وبِـأنّ الأحبـابَ رغْـمَ التّنـائِي لم يزالُـــوا أحبـــةً أعوانَـــا
كيـف يَسلُونَ والهـوَى قـد رمَـاهُم وسَـقاهُم مـن دنّـه مـا سَـقانا
أيّهـذَا المـلاّح أَوغَلـتَ في اليـــمِّ وأطلقـتَ للـشّراعِ العِنانَـا
فمـضَى يَـذْرَعُ البِحَـارَ ذَهابـاً وإيابـــاً متَـــيَّماً هَيانَـــا
سَـابِحاً ينـشُدُ الكَـمال عـلى الأرْضِ ويرجُـو مـن الليـالي الأمانَـا
ليتَ شِـعْري! هَـلِ اتخـذتَ عَـشِيراً في ربَـى «لنـدنٍ» وأهـلاً سِـوانا
ليتَ شِعْري كيفَ استسَغْتَ لذِيذَ الـعَيشِ في غَـيرِ أرضِـنا وسَـمانا
عُـدْ إلى مرتَـعِ الـصّبا والتّـصابي وإلى سُـــوحِ رَبعِنـــا وحِمانَـــا
وتَنـــشّقْ عبِـــيرَ لَـــيلَى ولُبنَـــى وانظُـــرِ الأقْـــرَبين والخلانَـــا
وتَـذكّرْ تلـكَ الجبـالَ الـرّواسي وهـــوَى «دَوعَـــنٍ» وذاكَ الزمَانَـــا
وعفَـا الله يـا حبيبـي عـن المـا ضِي وعَـما جـرَى وصَـارَ وكانَـا!
واطْـوِ عهْـدَ البعَـادِ في صـفحاتٍ ضِـمْنَ تـاريخِ «**كـانَ يـا مَـا كانَـا**»

***

طُوفَانُ دَوعَنْ

«وادي دَوعن» هو مسقطُ رأسِ الشاعر؛ تعرض في الثامنِ عشَر من ذي القعدة ١٣٧٣هـ لسَيلٍ عَرِمٍ هو أشبه بالطوفان، إذ لم يُعرَفْ له مثيلٌ منذ مئاتِ السنين، حيث جرَف ما يقاربُ التسعينَ بالمائة ٩٠٪ من نخلِ الوادي، زينةِ حياته، وأصلِ جماله، كما هدم بعضَ الدُّور:

سَلْ رُبَى «دِجلةٍ» وسلْ «يوكَاهَامَهْ» ... هلْ درَتْ خطب «دَوعَنٍ» واحتِدَامَهْ؟

خَبِّروهَا لعلهَا تتأسَّى ... عن عَوادي طُوفانِها الدهّامَهْ

خَبِّروهَا بِسَيلِ «دَوعَنٍ» إذْ جُنَّ ... فألقَى على البلادِ جِمامَهْ

فصحَا ذَاهِلاً علَى طلقَاتِ النّا ... ر[1] تبغِي بما جَرى إعلامَهْ

وإذا الخطبُ مُدلهِمُّ النّواحي ... وإذا الهولُ والرّدَى قُدّامَهْ

وإذا السّيلُ مُقبِلٌ يَمْلأُ الوَاد ... ي تُغطِّي أمواجُه آكامَهْ

مُزبِداً مُرغِياً قَويّاً عَتياً ... مُسْتبداً بكلِّ شيءٍ أمامَهْ

جَارِفاً عاصِفاً بمجهُودِ قَومٍ ... كتبُوا من دِمَائهم أرقامَهْ

ولجوا في سَبيلهِ كُلَّ دربٍ ... وطَريقٍ يخْشَى الليالي اقتحامَهْ

ربِّ! ما ذا أرَى؟ أطُوفَانُ نُوحٍ ... جاءِ أخْرَى؟ أم حلَّ يومُ القيامَهْ؟

---

(١) جرت العادةُ في (وادي دوعن): أنهم في حالة وصُول السّيل، يضربون الرصاص لينبّهوا سكان القرى بقدومه، ليرتفعَ الفلاحُون من المزارع، (**الشاعر**).

غمـرَ الـسيلُ كـلَّ سـهلٍ ووعْـرٍ وتعـالَى مهـدِّداً كـلَّ هامَـهْ
وطغَـى مَـاؤه فـضجّت قُـرَى الـوا دي بـدَمعِ حكَـاه صَـوبُ الغمامَـهْ
وترامَـتْ في الأفـقِ صَـيحاتُ ذعْـرٍ تَـرْجمَ الـشعبُ ضِـمنها آلامَـهْ
وسَرى الخـوفُ بـالنفوسِ ودبَّ الـرُّ عْـبُ فيهـا وأعوَزَتهْـا الـسلامَهْ
لحظـاتٌ رهيبـةٌ تركَـتْ في كـلِّ نفـسٍ وكـلِّ قلـبٍ علامَـهْ
يـا لَقَـومي لمـا بنَـوا وأشَـادُوا دارَ سَـاقي الـرّدى وأفْـرغَ جامَـهْ
ودهَـاهُم بـين الـورَى بعَتِـيٍّ لا يُراعِـي عهُـودَه أو ذِمامَـهْ
ورمَـاهم في الباسِـقَاتِ اللـواتي كـنَّ للـوادي حُـسنه وقَوامَـهْ
هـزةٌ فانتفاضـةٌ وإذا النخلَـ ـةُ جِـذعٌ هـوًى وألقَـى زمامَـهْ
يـا لَـوادٍ في ظِلِّـهِ كَمُـلَ العيـ ـشُ وتحلُـو بِجَانبَيـهِ الإقامَـهْ
وبقـاعٍ مـن نـادرِ الحسْنِ فيـه صـنعتها أنامِـلٌ رسّـامَهْ
وجنـانٍ مـن النخيـلِ إذا مَـا مـالَ نـسيمٌ تمَايلـتْ قُدامَـهْ
كـم تلاقَـى عـلى رباهـا أليفـا نِ وكـمْ غـرّدتْ عليهَـا حمامَـهْ
ومغـانٍ لـشَاعرٍ ومَـراءٍ كـم أثـارَتْ وحركَـتْ إلهامَـهْ
غـيَّر الـدهرُ حالهـاً فاسـتقلّتْ تبعـثُ الهـمّ والـشّجَى والسّآمَهْ
أيهـا الحـضْرميُّ إنْ يـذهبِ المـا لُ فلَـن يـذهبَ الإبـاءُ والكرامَـهْ
وقلـوبٌ بحُـبِّ كُـلِّ عَظـيمٍ كلِفَـاتٌ مجنونَـةٌ مُـستَهامَهْ
وطمُـوحٍ جـمٍّ تغَنّـتْ بـهِ عنـ ـكَ الليـالي وأنفـسٌ همّامَـهْ
فاشْـحذِ العـزمَ للبنـاءِ تُعِـدْ مَـا جرفتـهُ الكَـوارِثُ الهدّامَـهْ

* * *

مِنْ وحْيِ أسْمَرةْ(١)

بمناسبة نشر مقالٍ للشابِّ النابهِ، **محمد عمر بارحيم بامشموس**، يعلنُ فيه عودة «**النادي الثقافي العربي**» بأسمرا إلى كاملِ نشاطه، مكة رجب ١٣٧٢هـ:

صُغْ من رقيقِ الشّعرِ ما هُو أليقُ ... ودَعِ القَوافي بالتحيةِ تنطِقُ
وابعثْ من «**البلَدِ الحرَام**» تهانياً ... لجماعةٍ بعثُوا الرجاءَ وحقّقُوا
نهضتْ بهمْ للمكرُمَاتِ فتوّةٌ ... تغْلي وعَزْمٌ عَارمٌ يتدفّقُ
فمشَوا وأحيَوا نهضةً أدبيةً ... «**بغْدادُ**» ترمقُها وتُكبِرُ «**جُلّقُ**»
في «**أسمرا**» حيثُ الطبيعةُ هيّأتْ ... جَواً بِألوانِ المفَاتنِ ينطِقُ
مهدُ الجمالِ ومَهبطُ الحسنِ الذي ... تهفُو لمنظَرِه القلوبُ وتخفِقُ
لله بينَ ربُوعِها لي ماضِياً ... أرنُو إليهِ بعَبْرةٍ تتدَفّقُ
غنّيتُ فيهِ على معالمِ سِحْرِها ... وعشقت فتنتَها ومِثلي يعشَقُ
وعرفتُ فيهَا نخبةً مختَارةً ... من كل شَهْمٍ في الفضَائل مُعرِقُ
أو كلِّ محمودِ السُّرَى في رُوحِه ... مرَحُ الشبابِ وخفّةٌ لا تلحَقُ
عاشُوا بها العيشَ الرّغيدَ وصَفّقتْ ... لهمُ الليالي والزمَانُ وصَفقُوا

(١) نشرت بمجلة «النهضة» العدنية عام ١٣٧٢هـ.

ورَوَوا بها قِصَصاً تفيضُ عذُوبةً ... ينبيكَها (سقافُنا)(١) والزّورقُ
إيهٍ منازلَ «أسْمَرا» وهضابها ... ومسَارحاً فيها يُسَرُّ المحنَقُ
ومرابِعاً للسّانحاتِ عَشيةً ... وحَدائقاً منها المسرّةُ تعبِقُ
قد كنتُ أحسِبُ أنها لعِبتْ بها ... أيدِي الليَالي فانثنَتْ تتمزّقُ
وتعطلتْ فيها الفنونُ وصوّحَتْ ... تلك الغُصونُ وزالَ ذاك الرّونَقُ
وأتت على «النّادي» العَزيزِ فقوضَت ... أركانَه بمعاولٍ لا تَرفِقُ
حتى سمعتُ من الشّباب مُنادِياً ... في صوته نغَمٌ ولحنٌ شَيّقُ
ووراءَهُ نفَرٌ رأيتُ قلُوبَهم ... شوقاً إلى نيل العلى تتحَرّقُ
متحفّزينَ وفي سَبيل مُرادِهم ... لا ينثني بهِمُ المجَالُ الضّيقُ
يا فتيةَ «النّادي» الكرامِ تحيةً ... وإلى الأمَامِ فكلُّ عينٍ تَرمُقُ
سِيروا بعَونِ الله في مَشْرُوعِكم ... واسعَوا إلى الهدَفِ البعيدِ وحقّقُوا
يحدُوكُم الأملُ العَظيمُ وصَادقُ الـ ... ـعَزمِ الأكيدِ وهمّةٌ لا تخفُقُ
واضْفُوا على «النّادِي» جديدَ لباسِهِ ... ودَعُوهُ يرجِعُ عهدُه المتَألقُ
فَلأنتمُ أحرَى ببعثِ حَياتِه ... وبخَلقِه خَلقاً جَديداً أخلقُ

* * *

---

(١) هو صديقنا الغالي: محسن بن علوي السقاف، إشارة إلى قصيدة «رحلة في الزورق» التي نشرها في مجلة «فتاة الجزيرة» آنذاك.

مَـجلّةُ «الجنُوبِ العَربي»(١)

بمناسبة اقتراحٍ للصديق علي بن أحمد السقاف نُشِر بـ«المجلة»، يطالب بافتتاح بابٍ بعنوانِ «رأيِ ابنِ الجنُوب»:

هـــيَ رأيُـــه والمنْـــبَرُ ... هـــيَ فكـــرهُ المتحَـــرّرُ
هيَ صوتُه الدّاوي ألَــمْ ... تسمعْ صَداهُ يزمْـجِـرُ؟
هـيَ نـورُه الوقّـادُ يهـدِ ... يــهِ الطريـــقَ فيعـــبُرُ
هـيَ روحُـه الوثّـابُ لا ... يكبُـــو ولا يتعثّـــرُ
هيَ ذلكَ اللحْـنُ الـذي ... يسْبي العقُـولَ ويـسحَرُ
هيَ علقمٌ لعِـدَى الجنُـو ... بِ وللمُــواطِن كَــوثرُ
هيَ أنتَ يـا ابـنَ الجنـو ... ب عـلى حياتِـك تـسهَرُ
هـيَ أنـتَ تعمـلُ للـبِلا ... دِ مُـــشَمّراً وتفكّـــرُ
هيَ صَفحةُ الأحْـرارِ نَـا ... صِـــعةٌ تَـــشعُّ فتُبهِـــرُ
مـن كـلّ ذي قلـم بغَيـ ... ـرِ هوَى الحقيقـةِ يكفُـرُ
تلقَـــى مقالتـــه لأ ... مّتِـــهِ وفَـــاءً تقطُـــرُ
وعـــلى رُؤوسِ المعتَـــدِ ... يــنَ قنَـــابلاً تتفجّـــرُ

(١) نشرت بمجلة «الجنوب العربي»: ٢٨/ ٥/ ١٣٧٤هـ.

تَهنِئةٌ مِنَ القَلْبِ!

هَنئُـوا الـشيخَ بـامتلاكِ العِـمارَةْ ... ودَعُـوهُ يرقَـى مكـانَ الـصدارهْ
وهلُمُّـوا نَـشدُّ في مَوكـبٍ ضَخْـ ... ـم عَـلى كفِّـهِ بكُـلّ حَـرارهْ
ونحيّـي فيـه العزيمَـةَ والجـدَّ ... ونُـولي تقـديرَنا إصْرارَهْ
ونحيّـي روحَ الكِفـاح التـي شَـا ... دَ بهـا صرْحَـه وأسّـسَ دارَهْ
وبناهَـا طَوابِقـاً شَـامخاتٍ ... رائعَـاتٍ تَـروقُ للنَّظَّـارَةْ
جـاء تَـصميمُها طِـرازاً فريـداً ... يلهِـمُ الـشّعرَ محتـوًى وعِبَـارةْ
وإذا مـا دخلتَهـا بـسلام ... تجـد الفَـنَّ شَـائِعاً والمهَـارَةْ
تـتجلّى في كـلّ مـا تقـعُ العيـ ... ـنُ علَيـه مـن صَـالةٍ أو سِتَارةْ
ونقـوشٍ كأنهـا صُـنعَتْ مِـن ... خالصِ التّبرِ أو كَريم الحجَارةْ
قـال لي صـاحبي مُـشِيراً إليهَـا: ... أتُـرى ربُّهـا رئـيسَ وِزارَةْ!
قلتُ: كَلّا؛ لكـن رئـيسُ حِـسَابا ... تٍ قـديرٌ عـلى فُنـونِ التجَـارةْ
ودقيـقٌ فِـيما تخـطُّ يَـداهُ ... ولبيـبٌ وفَـاهِمٌ بالإشَـارةْ
ولـه في مـواطن الحُـسْنِ ذوقٌ ... سوف يطغَـى عـلى جميـع الحـارةْ
يا «**أبا الفضل**» أنتَ أصبحتَ فينا ... رجُـلاً طَـارَ ذكـرُه كبّـارَهْ
فتـبجّح بـينَ الـورَى؛ وتهنْـدَم! ... وتفنْـدَم! واسـتبدلِ الـسّيارَةْ

هكذا! هكـذَا؛ وأنفِـقْ مـن المـالِ ... لـذي فاقَــةٍ وجَــارٍ وجَــارَةْ
وادعُنــا كلــما دعــوتَ حبَيبــاً ... أو أدِيبــاً أو نخبــةً مختــارَةْ

* * *

أنتَ في الفَضْلِ وحيدٌ!

إلى الصديق الكريم بافضل؛ من وحي رسالته التي يقول فيها: « .. فربما جمعَنا ميدانُ الكِفَاح يوماً مّا»:

يا «**أبا الفَضْل**» إنما أنتَ في الفَضْـ ـلِ وحيدٌ وفي البطُولاتِ أوحَدْ
أنـت أغريتَنـا بحُـبّ المعَـالي وبـما فيـه مـنْ نعـيم مؤَبَّـدْ
فغـدَونا بهـا شـغُوفين نَـستَعْـ ـذِبُ مـن أجلهـا التمنّعُ والـصَّدّ
لا نبـالي الـضّنَى وسُـهدَ الليـا لي لا ولا نَحـسِبُ المـشقّةَ والكـدّ
يـا «**أبـا الفَـضْل**» وحّـدَتنا ميـولٌ وغَـداً نلتقـي عـلى خَـير مـورِدْ
مـوردِ المجْـدِ والكفـاح عـلى الحـ ـقّ نشمّرُ يا صَاح عن سَاعِدِ الجدّ
وتأهّـبْ فـإن يـومَ نِـضَالٍ سـوفَ يـدوي دويُّـهُ ويُـرَدّدْ
نحنُ في لهفةٍ وشَوقٍ إلى ذلكَ اليـو م فَفيـه نَـرى الحيـاةَ ونَـسْعَدْ
نحـنُ في لهفـةٍ وشـوقٍ إلى يَـو م نـضَالٍ دامـي الجوانـبِ أسْـوَدْ
نحـن في لهفـةٍ إلى خَـوض شَعْـ ـواءَ لظَاهـا لا يـأتَلي يتوقّـدْ
مـن سـناهُ الـذكيِّ نَقبِسُ أضْـوا ءَ المعَـالي ونـستنيرُ ونُرْشَـدْ
يـا شَـبابَ الجنُـوبِ يـا أمَـلاً نَـر نُو إليـه إذا دهَـى الخطـبُ واشتَدّ
آنَ يـا قـومُ أن تهبّـوا وأن تَـسْـ ـعَوا بحَـزْم وهمـةٍ لا تَنفَـدْ

آنَ أن تنفُـــضُوا غُبَـــارَ هَـــوانٍ طَالمــا ضَـــلّل الـــبلادَ وأرمَـــدْ
آنَ أن تنهــضُوا وتنتزعُـــوا الحـــ ـــقّ اغتِـصَاباً ممـن طغـى واستعبَدْ
آنَ أن تنقِـذُوا الحمَــى وتعيــشوا أمـــةً حُـــرّةً وشـــعباً موحّـــدْ

* * *

بُعدُكَ بُعْدُ!

«بافَضْلُ» بعـدُكَ بُعـدُ — فَهــلْ لنَــا مِنــهُ بُــدُّ
أم أن ذاك قَــــــضَاءٌ — مُــــحَتّمٌ لا يُــــرَدُّ
خلّفــتَ فينَــا فرَاغــاً — أرجَــــاؤه لا تُــسَدُّ
وَحالُنَــا غَــيرُ خَــافٍ — وشَـــوقُنا لا يُـــحَدُّ
وفي المجــالسِ نقْــصٌ — وفي الجــوانح وجْــدُ
ومــن لنَــا بــصَدِيق — أفـــضاله لا تُعَـــدُّ
هُـــوْ الوفَـــاءُ مثـــالٌ — وفي المـــروءَةِ فَـــرْدُ
إذا دعونَـــاه يومـــاً — في محنــةٍ جَــاء يعــدُو
وإن شـــكَونا إليــــه — سرًّا لنـــا لا يُـــرَدُّ
وإن يكُــن فيــه عيــبٌ — فكفُّـــهُ والزّنـــدُ
آنـــاً تـــراهُ وَديعـــاً — وتـــارةً يـــشْتَدُّ
وعنــدَه الجــدُّ هَــزْلٌ — وعنــدَه الهــزلُ جِــدُّ
كــأنما هُـــو بحْــرٌ — والبحــر جَــزرٌ ومَــدُّ
هذا الـصديقُ المفـدّى — المـــاكرُ المـــستبِدُّ
هــلْ باعنــا بــرَخيصٍ — مــن النقُــود تُعَــدُّ
أم أن «لــيلَى» و«لبنَــى» — قــد تيّمتــهُ و«هِنــدُ»

أم مَنـــصِبٌ برْمكـــيٌّ ... لـــهُ الرّحـــالُ تُـــشَدُّ
أم مركـــزٌ عَـــالمي ... يرنُـــو إليـــه المجِـــدُّ
ســـبحانكَ الله ربي ... لـــكَ الرضَـــا والحمْـــدُ
رزقتَ «بافَضْل» جَاهاً ... من دونِ لا كانَ جُهـدُ
«أبا الفَضائلِ» قـل لي: ... مـــاذا وراءَكَ بَعـــدُ؟
وهــل لــديكَ ســلاحٌ ... مـــن البِعـــادِ أحـــدُّ
ترمِـي بـه كـلّ خِـدْنٍ ... إخلاصُـــه مـــشْتَدّ
وكيـف غـادرت بيتـاً ... يأويـــهِ غـــورٌ ونجـــدُ
أمـا أنـا سَـوفَ أبقَـى ... عَـنِ الحمَـى لا أُصَـدُّ
قـــد تيمتنـــيَ هِنـــدٌ ... وتَيّمـــتْ بيَ دعْـــدُ
لَن أبْرحَ البيـتَ حتّـى ... يـــضُمّني فيـــهِ لحـــدُ

* * *

أبا طَارقٍ!

إلى الصديق الغالي محمد أحمد بافضل:

«أبا طَارقٍ» يا «أبا طَارقٍ» لكَ الله من واله عاشِقِ
هويتَ الجمال سنيناً طوالاً ولا زلتَ نعمَ الفتَى الوامِقِ
وأبحرتَ من أجْلِ ذاك وطِرْتَ وغرّدتَ في جَوّه الرائقِ
ومِنْ بلَدٍ طيبٍ قَد نُقلتَ إلى بلدٍ في الهوَى غارِقِ
ومن شقّةٍ لكَ أو طابقٍ عليلِ الهواءِ إلى طَابقِ
تنقّلْ فإن نعيمَ الحيا ةِ يذهبُ في لمحةِ البَارقِ
وإن لم تجدْ ما يغذّي طُموحَ نفسِك في بيئةٍ؛ فَارقِ
وأنفقْ من المالِ فهوَ كثيرٌ ورزقُ العبادِ على الخالقِ
وخلِّ «السَّبيلَ» لأهْلِ «السّبيلِ»(١) يعيشُونَ في جوّه الخانقِ
وبين أزقّتهِ يعبثُونَ رُغمَ الموانعِ والعَائقِ
فما بينَهم غيرُ مُضْنَى الفُؤادِ أو «خُنفُسٍ» شاردٍ آبقِ
ولستَ من القومِ في أيّ شيءٍ وليسَ المحلّقُ كالمارقِ
وما أنتَ إلا الفتَى الألمعيّ عَرفْنَاكَ من زمَنٍ سابقِ

---

(١) «السبيل»: من أحياء مدينة جدة القديمة، مشهور بأزقته الضيقة.

تحـــبُّ الكـــرامَ وتَقــلي الطّغــا   مَ وتـــصفحُ عـــن حنـــقِ الحـانقِ
وتهنئـــةٌ مـــن صـــميمِ الفـــؤا   دِ مُعطـــرةً بالـــشذَى العَـــابقِ
بمنزلِـــك الـــشاعريِّ الجديـــ   ـــدِ مـا غـرّدتْ شَـفةُ العاشِـقِ
ولا زال في أفْقِـــه عَـــامراً   بكُـــم بالأحبـــة بالطّـــارقِ
وخاتمـــة القـــول نهـــدي التحـــا   يـــا معطـــرة مـــن «أبي طَـــارق»
تحيـــةَ ود عميـــقٍ عميـــقٍ   مـــضمخَةً بالـــشذى العـــابق

* * *

إنّهُ الكَسَلْ!

هذه معذرةٌ وترحيبٌ إلى الأخ الوفي **محمد بن أحمد بافضل**، فليسبل عليها ذيلَ الإغضاء، وما تخللها من ضَعفٍ وهُزالٍ فإنه بالستر أجدر:

يـا أخـي إنـهُ الكـسَلْ — فـاعفُ عنـي ولا تَـسلْ
أنَـا في الحـقّ مـذنبٌ — منـذ قـدَماً ولم أزلْ
مرحَبـاً ثـم مرحَبـاً — أيهـا القـادمُ الأجَـلّ
مرحبـاً مـا دعَـا الـدُّعا — ةُ ومـا عـبَرَ الأزَلْ
مرحبـاً مـا مُـسافرٌ — خـفّ رجلَيـهِ وارتحـلْ
مرحَبـاً مـا تقارعَـتْ — حُجَـجُ القـومِ بالجـدَلْ
واختفَـى قـولُ باطـلٍ — وبـدا الحـقُّ واكتمَـلْ
مرحبـاً مـا ترنّمـتْ — واحـةُ الـشّعر بالزّجَـلْ
وشـدَا العُـود في يَـدي — صـانعٍ يـتقنُ العمَـلْ
وتهـادَت مليحـةٌ — في دَلالٍ وفي خَجـلْ
يا «**أبـا فَـضْل**» صِـفْ لنـا — حـالَ أقوامِنـا الأولْ
وصـفِ الجـوَّ في تريـ — ـمٍ ورُباهـا عـلى عَجـلْ

وتحـــدّثْ عـــن القِبَـــا ... بِ وعن «السّرّ» و«القُبَـلْ»

وعـــن الفَـضْل والـصّلاحِ ... وعـــن الخـــيرِ والأمَـــلْ

الخبر؛ ٢٥/ ٣/ ٧٧هـ

«هذه الأبيات كتبتها منذ أشهُر؛ ولم أتمكن من تبييضها وإرسالها إليك غير اليوم؛ إنه الكسل يا أخي .. فعفوَك ومعذرتَك .. وإلى اللقاء».

* * *

تَـهنئةٌ ...

إلى الصديق الكريم الأديب، **محمد أحمد بافضل**، بمناسبة قِرانه الميمون بمكة المكرمة:

بلغــتَ المــدَى وكَــسِبتَ الرِّهــانْ «**أبـا الفَـضْل**» يـومَ عقـدتَ القِـرانْ
أتــاكَ الزمـــانُ بــشُوشاً ضَــحُو كـاً ولا شيءَ مثـلِ ابتسـامِ الزّمـانْ
وغنّـــى فقامَـــتْ تهـــزُّ القـــدُو دَ عـــلى نغْمِـــهِ فاتنـــاتُ القِيـــانْ
وحـــقّ لنـــا أن نـــزُفّ التهَـــا ني لشَخْـصكَ والأمنيـاتِ الحِسَانْ
ونُزجِـي القـــريضَ بَــدِيعاً رقيقـــاً يـــدينُ لـــهُ أمَـــراءُ البيـــانْ
ولـو أنـصفَ الـدهرُ جِئنـا إليـكَ نــشَاطِر في الحفــلِ شُربَ الـدّنانْ
وكنـــا عـــلى رأسِ مـــن يهزُجُـــونَ ومـــن يـــستديرونَ حَـــول الجِفَـــانْ
«**محمّـــدُ**» أنـــتَ مثـــالُ الوفَـــاء ورمْـــزُ الإخـــاءِ المتـــينِ الكَيـــانْ
أتـــذكُر بـــالله أكذوبـــةً ضـحكنا لهـا برهـةً مـن زمَـانْ
يردّدهـــا «**ســـالم**» في حمـــاسٍ و«**محـروسُ**» ذاكَ الطويـل اللسَانْ
وأنـــتَ تـــدافعُ في شـــدةٍ وتنكِـرُ يـا صَـاحِ مـا يـذكرانْ
وتثبـــتُ بـــالحججِ الـــدامغَا تِ أنهـــما إنـــما يهـــذِيانْ
ولكننـــا لا نُعِـــيرُ سَـــماعاً إليـكَ ونُـصغِي لمـا يـزعمانْ

وهـا هـي قَـد أصـبحتْ واقعـاً   لمـن يمـتريْ مـاثِلاً للعيـانْ
أتَـذْكرُ إذ كنـتَ بـين الرفـا   قِ أتـذكُر إذ كنـتَ في كـل آنْ
تقـولُ وتـسطُو عـلى كُـلِّ فَـردٍ   وتفخَـر بالعـضَلاتِ المتـانْ
وتزهُـو بأنـكَ راوي الـشَّبا   بِ وأن لا يـدانيك فيـه مـدانْ
وأن لـيسَ تملـكُ أمْـراً علَيـ   ـكَ يـا صـاحِ «حَـواءُ» هـذا الزمـانْ
وإنـكَ عنهـا بعيـدٌ بعِيـدٌ   وإنـكَ مـن سِـحرها في أمَـانْ
فـما رأيُـكَ اليـومَ يـا صَـاحبي؟   ومـا شـأن مُلكـكَ والـصولجانْ؟
فمثلُـكَ في عُلـوِ أخلاقِـهِ   ورقَّـةِ إحْـساسِه والجنـانْ
حَـرامٌ وصَـعبٌ عليـه الحيـا   ةُ منعَـزلاً أعزَبـاً في كِيـانْ
ومِـن حَولـهِ كُـلُّ ذي عفَّـةٍ   ومِـن حَولـهِ النـيِّراتُ الحـسانْ
فعـشْ يـا صَـديقي بعَهْـدٍ سَعيـ   ـدٍ ستَنـشقُ منـهُ عَبـيرَ الجنـانْ
وإن رابَ في الأمْـرِ ذو ريَـبٍ   ورابـكَ في الأفْـقِ بعـضُ الـدُّخَانْ
فـدعْ عنـكَ هَـذا الهـراءَ الـسخيـ   ـفَ ودَعْ عنكَ مـا نقلـوا عـن فـلانْ
فـما أنـتَ إلا الـصديقُ الـوفيُّ   بـلا منـةٍ وبغـيرِ امتِنَـانْ
ومـا أنـتَ إلا العزيـزُ الكريـ   ـم بـرغمِ الحـسودِ ورَغْـمِ الجبـانْ

* * *

كَيفَ تُسِيءُ الظَّنَّ!

بالله قل لي يَا صَـديقي النّبيـهْ: كَيفَ تُسيءُ الظّنّ في «بافَقِيـه»
ما كانَ ظنّي يـا «أبـا طَـارقٍ» أنّـكَ ترميـهِ بـما لـيسَ فيـهْ
وأنتَ أنتَ الصّاحِبُ المجتبَى المخلصُ العفُّ الكريمُ النّزيهْ
ضَربٌ مـنَ الـوهْمِ تخيلتَـهُ فكِلتَ للمسكينِ ما ليس فيـهْ
الوهم! والوهْمُ عـدوٌّ وهَـلْ أفتَى بحُكمِ الوهَمِ يوماً فقيهْ؟
سـامحكَ الله! فَـإني عـلَى الـ ـعَهدِ كَما كنتُ وحَقِّ «الفقيهْ»
وحـقِّ مـا بينِـي ومـا بيـنكُمْ وحقِّ «بيتٍ» أنتَ من ساكنيهْ

المقيمُ على العهد: أحمد علي بافقيه
الخبَـر؛ ٤/ ١٠/ ١٣٨٠هـ

«بطَيِّ هذا خطابٌ لوالدِكَ(١) الذي كنتُ أتصورهُ شَيخاً هرِماً أو علَى الأقلِّ مُشرِفاً على الشّيخوخة؛ فإذا به شابٌ لطيفٌ! فضلا إرسال خطابي إليه بسرعة، ولك تحياتي.

أحمد علي بافقيه».

---

(١) الشيخ أحمد بن أبي بكر بافضل، توفي بتريم سنة ١٤٠٠هـ، عن عمر (٧٤ عاما) تقريبا.

أَوَالُ[١]

أهديت إلى الصديق عازف الكمان، الفنان البحريني علي ضمير؛ البحرين؛ ٣ شوال ١٣٨٢هـ:

أوالُ أهديكِ من قلبي ووِجْداني ... تحيــةً مِلؤُهــا حبِّــي وعِرفَــاني
صبَّتْ عليَّ الليالي جامَ غُربتها ... وعشتُ ما بين أشْواقي وأشجَاني
فجئتُ أسْتَلهِمُ السُّلوانَ فاندفَعتْ ... شُطآنُكِ الخضرُ بالتِّرحابِ تلقَاني

* * *

البحرُ حَولكِ ضَاحكُ الوجَناتِ مكتَملُ الصَّفاءْ
فكأنّ صفحتَه تُغازِلُ في المسَا قمَرَ السماءْ
وكَأنما هُو منظَرٌ من فِضَّةٍ أو من ضِياءْ
تَاريخُهُ ما زالَ حاضِرُه وفي ماضِي الليالي
يُهدي إلى الدُّنيا الفريدَ من الجواهرِ واللآلي
كَم غَادةٍ بزَّتْ صواحِبَها بعقْدٍ من أوالِ

* * *

---

(١) أوال: هو الاسم القديم للبحرين.

وفي رِمَالــكِ سـحرٌ   يُعـزَى إلى أرضِ بَابـلْ
أفْـدي بنَفْـسي رمَـالاً   تخلّلتْهَـا الخمائِـلْ
وتحتَهـا المـاءُ يجْـرِي   سَـواقياً وجَـداوِلْ

* * *

وجوارَها انتشَرَتْ تحيّي الطرفَ آبـارُ الـذَّهبْ
ومَصانعٌ من حَولها اشتعلَتْ منـاراتُ اللّهَـبْ
تَبني مواقعَ نهضةٍ تُفضي إلى العَـيشِ العَجَـبْ
وتَسيرُ بالبَحْرين في ركـبِ العُروبـة والعَـربْ

* * *

يا عازفاً ...

إلى الصديق الغالي، الفنان عبد الرحمن الرويعي، تحية حب وتقدير؛ الخبر رجب ١٣٨٢هـ:

يـا عازفـاً ملَـك القلـوبَ بعزْفِـه ... رفْقـاً فقَـدْ أودى الهـوَى بفُـؤادي
نغـماتُ عـودِكَ تـستثيرُ صبَابتي ... وتعيـدُ ذكـرَى لـوعَتي وسُـهادي
وتهـيْجُ أشـواقي إلى متـدلِّلٍ ... حُلـوِ الدُّعابَـة كـاذبِ الميعَـادِ
رِيـمٌ عليـهِ مـن الملاحَـةِ مِـسْحةٌ ... تُغـري الحلـيمَ وناسِـكَ العُبَّـادِ
لـبسَ الخـمارَ فكنـتُ ألمـحُ وجْهَـه ... مـن خلفِـه كالكَوكـبِ الوقَّـادِ
مـا ضـمَّه بـين الفـواتنِ مجلـسٌ ... إلا وكُـنَّ لـه مـن الحـسَّادِ
وإذا مـشَى في حيِّـه متخطِّـراً ... لعـبَ النـسيمُ بقَـدِّه الميَّـادِ
كم بتُّ أرْعَى النجْمَ أرقُـب طَيفَـهُ ... وأذودُ عـن جَفنـي لذيـذَ رُقَـادي
وأعـدُّ سَـاعاتي الطـوالَ دقَائقـاً ... وأذوبُ مـن وَجْـدٍ ومِـنْ إجهَـادِ
مـا زال يُوعِـدُني ويخلِـفُ وعـدَه ... ويزيـدُ مـن ألم العَليـلِ الـصّادي
حتـى إذا جـنَّ الـدُّجى في لحظَـةٍ ... والنـومُ أخـرسَ عـاذلاً ومُعَـادي
وافى ينقّـلُ خطْـوَه في خِيفَـةٍ ... متلفتـاً متلفّعـاً بـسَوادِ
فَصحَا العميدُ ولا تَسلْ عـن ليلَـةٍ ... كنَّـا بهـا للـدَّهْر بالمرصَـادِ

مَاذَا أردْتَ بنَشْرِ شِعْركَ؟

إلى الأستاذ الجليل، الشاعر المبدع الأصيل، أحمد علي بافقيه؛ (قدمَها له أديبٌ حضرمي مقيم بجدة):

ماذا أردتَ بنَشر شِعْركَ قالُوا؟ … حبَّ الظّهُور؟ أم اعتراكَ قِلالُ؟
فجعلتَ شِعرَكَ سُلماً لوظيفةٍ … مرمُوقَةٍ؛ والنّشرُ فيه مجالُ؟
أم كنتَ تؤمِنُ أنّ ذلك واجِباً … قبل التجنُّسِ إذْ تبدَّلَ حَالُ؟
فمَدحْتَ مدْحاً قد يُعَدُّ تزلّفاً … لما أظلّك «مِشْلحٌ» و«عِقَالُ»
«**لا تبطِلُوا صَدقاتِكم بالمنِّ**» إنّ … المنَّ فيه علَيهمُ إذلالُ
إن كان صَاحبكم يؤَدّي واجِباً … فلِكَي يقال: «**وأنتَ ممّنْ قالُوا!**»
«**بيرُوتُ**» أكرَمَها بأكثرَ مِنهمُ … يا ليتَ شِعري هل أثيرَ سُؤالُ
وهناك بلْ وهُناكَ بلْ … وهناكَ؛ حيثُ الحلُّ والترّحَالُ
أنت الفَهيمُ وأنت تَعرِفُ مَقْصَدي … يا «**بافَقيهُ**» فَدُونكَ الأمثالُ
ما كنت أحسِبُ أن شِعرَكَ ذلكَ الـ … ـقَصرُ المنيفُ! يصيبُه الزّلزَالُ
فيخِرُّ من ذاكَ العُلوِّ ليمدح الـ … ـمُتَصدِّقينَ! بمَدحِهمْ يَنهَالُ
يا ليتَ حِبرَ النشْر لم يعلَقْ بها … وبَقيتَ في نظري، لَكَ الإجلالُ
لا عيبَ في نشرٍ بدونِ تزلُّفٍ … فالنشْرُ فيه فضيلةٌ، ونِضَالُ

لا عيــبُ في مَــدحٍ يخلِّــدُ مَوقِفــاً ... لم تَــــستطعْ تحقيقَـــــه الأبطَـــالُ
أو مَوقِفــاً تهتَــزُّ عنــدَ سَـــماعِه ... وبــــــذكرِه تتَفـــاخَرُ الأجيـــالُ
فاجعــلْ مــديحكَ دائــماً فــيمنْ لَــهُ ... يجــبُ المــديحُ، ويَــستَريحُ البــالُ
ولقدْ أجـدْتَ! وفي القَـصيدةِ نفـسِها ... غـــرَرُ المعـــانِي مـــنكمُ تنثَـــالُ
لو كـان «شَـوقي» في الحيـاةِ لجـاءَكم ... مُتنَـــازلاً، وأتَـــاكمُ «إقبـــالُ»!
أرجــوكَ تمتعُنــا بــشعرِك دائــماً ... فهــو النّمــيرُ العَــذبُ والسلــسَالُ
وانــشرهُ لا تبخَــل كمثْــلِ «محمَّــدٍ» ... نَفـــسي بـــهِ تتحقّـــقُ الآمَـــالُ
والرسْـمُ[1] يُغْـري نـشرُه ولأجلـهِ ... قــد ثــارَ بــينَ الغانيــاتِ جِــدالُ
هــذي تقــول: هُــوَ الــشّبابُ بعينِـه ... وتقـــولُ أخـــرَى: إنَّـــهُ محتـــالُ
أخفَــى تجاعيــداً ولونــاً أبيَــضاً ... **فالرَّســمُ** للــصّيدِ الثّمــينِ حِبــالُ!

❋ ❋ ❋

(١) يعني به: صورة الشاعر التي نشرت إلى جوار القصيدة المشار إليها.

إلَى مُعجَبٍ!

١٠/ ٤/ ١٤٠٣هـ:

يـا مُعجَبـاً كلِفـاً بـ(قِيـلَ وقَـالوا) مَهْـلاً ولا تمـضي بـكَ الأقْـوالُ
فـالقولُ أمـرٌ لا يحقِّـقُ مطلَبـاً وطريـقُ غايـاتِ المنَـى: الأفعـالُ
والـشعرُ في عُـرْفِ الجميـعِ: هِوَايـةٌ وغوايـةٌ، وتـصوُّرٌ، وخَيـالُ
ولـه إذا دعـتِ الأمُـورُ مواقـفٌ يَمـشي أمـامَ صُـفُوفها يختـالُ
وقـد افتقـدتُكَ يـا «حَبيـبُ» وأنـتَ في سـاحِ القَـريظِ النّـادِسُ الجـوالُ
ولـك البيـانُ وطَـوعُ أمـركَ في الـورَى قلـمٌ إذا جرّدتَـهُ سـيالُ
فحملتُ عنكَ العِـبءَ يـا ابـنَ أبي؛ ولي فـيكُم وفي تقـديرِكُم آمَـالُ
وقـد انتظـرتُ جـزاءَ مـا قدمتُـه مـا شـأنه: كَـرمٌ لكُـم ونـوالُ
وتطلعـتْ نفـسي لـردِّ جَميلكُم فـإذا أنَـا في عُـرفكم: طَبّـالُ!
أمـشي بقافلَـةِ الزمَـانِ مـصفِّقٌ ومزمِّـرٌ أو مـادحٌ زجّـالُ
مـاذا جنيـتُ لأبـتلَى بـصُدودِكُم وتـشُدُّني الأصـفادُ والأغْـلالُ
ألأنِنـي أنـشَدتُ شـعراً عـنكمُ أمـلاهُ ظـرفٌ واقتـضاهُ الحـالُ
الحـقُّ أولى أن يقـالَ بـرَغْمِ مـا يحكَـى هنالَـكَ أو هنَـا ويقـالُ
والحـقُّ أبلـجُ منطِقـاً في العالمِيـ ـنَ ومـا سِـواهُ فباطِـلٌ وضـلالُ

(فامدحْ على الحقِّ الرجالَ ولُمْهُمُ)   فالحربُ فيه المتحاربينَ سِجالُ
قُلْ ما بدَا واعملْ لصالحِ أمّةٍ   عصفتْ بها النكباتُ والأهوالُ
قُلْ ما تشاءُ وجُدْ وواسِ جماعةً   أودَى بها وبأرضِها الزلزَالُ
قُلْ ما تشاءُ وأغِثْ فقيراً جائعاً   ضاقتْ به وبأهلِه الأحوالُ
دَعْ عنك لَومي يا صَديقُ فَما أنا   مَن تَشتريهِ مظاهرٌ أو مَالُ
واقصُصْ علينَا من حديثِ الغَانيا   تِ فنطقُهنّ جَواهرٌ ولآلُ
رَسْمي أثارَ فضولهنَّ فكُلَّ وا   حِدةٍ لها رأيٌ به وسُؤالُ!
هذي تقولُ: شَبابه متفَتِّحٌ   (وتقول أخرَى: إنه محتالُ)!
يا حبّذا صخَبُ الغَواني عندَما   يعلُو لهنّ تخاصُمٌ وجدالُ
وتهبُّ كلُّ مليحَةٍ لتحاورَ الأ   خرَى ويبدُو العِقدُ والخلخالُ
قل لي بربكَ: كيفَ كان صِراعُهـ   ـنَّ؟ وكيفَ كان الفَرُّ والإقبالُ؟
والمعجباتُ؛ هلِ اختلفنَ لِصُورَتي   وارتاحَ مِن شَكلي لهنَّ البالُ!

❊ ❊ ❊

ما للكَمـانةِ؟!

رجب ١٣٧٢هـ:

مـا للكمانَـةِ يـا عِـصَامْ   قـد لفَّهـا جُـنحُ الظّـلامْ!
والعُــود مــاذا نابَــهُ؟   حتـى نَـوى عنّـا اعتِـزامْ
أتراهُمـــا في عُطلَــــةٍ   أم نحنُ في شَهر الـصِّيامْ؟
أم أن أربَـــابَ الهـــوى   مـرَّت بهـم سِـنَةُ المَنَـامْ
أين الفتَى الحبَـشيْ[1] فـإن   ربابَـــه تبكِـــي هُيَـــامْ
لا تنقَـــضي في لوعَـــةٍ   فعــلامَ يهجُرهــا عَــلامْ
و(بَـشِيرُ) ربُّ العُـود كيـ   ـفَ دعـاه يقتلُـه الغـرامْ
وجفَـــاهُ دون مـــبرِّرٍ   وهو الحريصُ على الـذِّمامْ
بــالله بالــدينِ الحنيــفِ   بـالركنِ بالبَيـتِ الحـرامْ
بــــالفنِّ إن قدَّســـتَهُ   بالحسنِ في أسْـمَى مقـامْ
قُــمْ يــا عميــدَ فريقِنَـا   وتــولَّ أمــرَكَ والزِّمــامْ
واعـــزِفْ عـــلى قيثــارَةٍ   ألحانُهــا تَـشفي الـسّقامْ
واسـجَع بـصوتكَ داويـاً   رغْـــمَ التنابلـــةِ اللئـــامْ

---

(١) هو صديق الشاعر؛ السيد الأديب عبد القادر بن حسين الحبشي.

مــن حرّمُــوا مــا حلُّــه　　　وأباحَـــــه ربُّ الأنـــــامْ
وتفنَّنُـــــوا في كيـــــدِنَا　　　ظلــماً وحقــداً وانتقــامْ
قُولــوا لهــم: يــا أمَّـــةً　　　من جَهْلها ضحِكَ الأنـامْ
مــاذا عــلى مـــن راقَـــهُ　　　لـونُ الملاحَـةِ مـن مَـلامْ
أو شَـاقهُ الوجْـهُ الجميــ　　　ــلُ كأنــه بــدرُ الـتّمامْ
أو هــامَ حبــاً في الحيَــاة　　　بــأهيفٍ لَــدِنِ القـــوامْ
أو هـــزّه الـــوتَرُ المـــرِنُّ　　　كأنّـــه ســـجْعُ الحـــمامْ
قولــوا لهـمْ: لا تطمَعُــوا　　　أن تزعِجُـوا أهـلَ الغـرامْ
إن الحيـــــاةَ بدُونـــــه　　　يــا جَامـدين لهـم حَـرامْ
هـو روحُهـم وهـوَاؤهم　　　وهــو الغِـذَا وهــو المنـامْ

❊　❊　❊

سَـلاماتْ!

تعرضت إحدى السيارات التي تقل بعض الطلبة من الخبر إلى الثانوية بالدمام، في أحد الأيام لزلق شديد، مما جعلها تميل بهم عن الخط، وتترنح يمينا وشمالا، الأمر الذي عرض حياتهم للخطر، وكان من بينهم صديق الشاعر الفنان عبد الرحمن الرويعي، فانتظمت بين يديه على إثر سماعه بالحادث هذه الأبيات التي أرسلها توا إلى صديقه الفنان:

الخبر في شعبان ١٣٨٢هـ:

أحـــصِّنكُم مـــن الزلَـــقِ　　بـــربِّ النـــاسِ والفلـــقِ
وبـــــــــالقُرآن والأورا　　د في صُـــبحٍ وفي غَـــسقِ
وبالأذكَـــــار في حلَقَـــــا　　تِ كـلِّ مَـشايخ الطُّـرقِ
وبـــالفنِّ الرفيـــعِ ومـــا　　حوَى مـن عَـاطر العبَـقِ
ســـلُوا ســـيارةَ الطـــلا　　بِ مـاذا بـانَ في الأفُـقِ
فأبعـــدَها عـــن الخـــطِّ　　وســـــيَّرها بمفـــــتَرقِ
سـلُوها مـا دهـى عجَـلا　　تِهـا فمـشَتْ عـلى رمـقِ
فهل مالَ النعـاسُ بجفـ　　ـــنها مـن شـدَّة الأرقِ؟
وهل شربتْ من الـصَّهبا　　ءِ أو من خالِص العـرَقِ!

وهـــل حنَّــت إلى إلْــفٍ   وهل حلمَتْ بوصْلِ تقي
سأقــسِم! لا بهـا سُــكرٌ   ولا شيءٌ مـــن القلَـــقِ
ولا شَــــوقٌ ألمَّ بهـــا   إلى ذي صَـــبْوةٍ نـــزِقِ
ولا سَـــهرٌ ولا ظَمـــأ   ولا جُـــوعٌ إلى طبـــقِ
ولكـــنّ الوجيــهَ شَــدا   لهـــا بغنائِـــه اللَّبِـــقِ
فأفقـدَها شـجيُّ الـصّو   ت سـيراً جِـدَّ متَّـسِقِ
فهبَّـــتْ تنثَنِـــي طربـــاً   كغُـصنِ البانَــةِ القلِــقِ
ومالَـتْ يـسْرةً ومـضتْ   مـع الألحــانِ في نَـسَقِ
هـو الفَـنُّ ولـيس الفـنُّ   إلا رأيُ معتَنِــــــــــقِ

* * *

لم تُفِدْ صُحبةٌ!

في حادث سيارة للشاعر وهو يقود سيارته:

لم تُفِدْ صحبةٌ ولا الشِّعرُ أجدَى ... نظمُـه أيهـا الأديـبُ المفـدَّى
قُضيَ الأمرُ وانتهَى دون أن نمـ ... ـلكَ أو نستطيعَ للأمْرِ صدًّا
علـمَ الله يـا محمَّـدُ أني ... لـك أخْفـي بـين الجوانحِ وُدًّا
قـد عَرفْنـاكَ يـا صـديقُ كـريماً ... كم إلى النـاسِ مـن جميـلٍ أسْدَى
وعرفْنـاكَ لا حريـصاً عـلى جـا ... هٍ ولا طاغِيـاً ولا مُسْتبدا
قُضيَ الأمرُ قد تجاذبَتها الأيـادي ... وقـد استنفدتْ مجيئـاً وردا
وأتـاني الرسـولُ يطلـبُ إحـضَا ... ري ويُمـلي عـلى كَفيـليَ وعْـدا
سـوف آتي ولـن تلـينَ قَنـاتي ... راضـياً بالنظـامِ بنْـداً فبنْـدَا
غـيرَ أني أعيـذُ أن لا تُلاقـي ... أمَّـةُ الشعر فيـكَ عونـاً وعَضُدا
أمِـنَ العـدلِ أن يعاقـبَ بالـسجـ ... ـن أبيٌّ مـا جـاءَ شيئا إدا؟
أمـنَ العـدلِ أن يـساق أديـبٌ ... ضمْنَ من كـان مجرمـاً أو وَغْـدا؟
دَولةُ الشعرِ سوفَ تغضبُ للشِّعـ ... ـر وتُحصي هـذي المهـازلَ عـدًّا
دولةُ الـشِّعر سـوف تعلـنُ حربـاً ... لا تراعـي عهـداً ولم تبْـقِ فَـرْدا
ولهـا في البيـانِ خَـيرُ سِـلاحِ ... وهي أقوى بأسـاً وأعظَـمُ جُنْـدا

أَقبَلَتْ!

إلى شاعرِنَا وأدِيبنَا، **الأستاذِ عبد القادر سَالم خَرِد**، رداً على مقطوعَتِه الرقيقةِ العَصْماء. مكة المكرمة؛ ٢/ ٢/ ١٤٠٢ هـ:

أقبلــتْ تلفِــتُ النظَــرْ … بــينَ مــن حــجَّ واعتمَــرْ
بقَـــــوامٍ مهفْهَـــــفٍ … وفتُـــونٍ لهـــا أُخَـــرْ
بعـــد هَجْـــرٍ مطـــوَّلٍ … ســـامحَ الله مـــن هَجَـــرْ
أشْـــهرٌ خمْـــسةٌ مـــضَتْ … سَـــاءَ عيـــشِي بهَـــا وقَـــرّ
وهْـــــيَ في كِبريَائهَـــــا … لا تبقّـــــي ولا تَـــــذرْ
تجعَـــلُ العـــينَ مركَبـــاً … ولهـــا في الـــسّماءْ مـــمَرّ
وأنـــا أرقُـــبُ القـــدُو … مَ عـــلَى الجمْـــرِ أو أحَـــرّ
رُبّـــما كـــان ربُّهـــا … وهْـــو مَـــن يمعِـــنُ النظَـــرْ
باحِثـــاً لاقْترانِهـــا … عَـــنْ زعـــيمٍ لـــه خَطَـــرْ
أو ثَـــريٍّ تكدّســـتْ … في سَرادِيبِـــه الـــصُّرَرْ
لم يكُـــن في حِـــسَابِنا … يـــا أخَـــا الـــشِّعْرِ مَـــا بـــدَرْ
مرحَبـــاً بـــاللّتي جفَـــتْ … ثُـــمّ جـــاءتْ عـــلى قـــدَرْ
لم يـــضِرْها مَـــسِيرُها … لا ولا شُـــقّةُ الـــسّفرْ

وبـــدتْ للعُيــونِ جَــذّا بـــةٌ تُبهِـــرُ البــصَرْ
نَـــضْرةٌ في خـــدُودِها واحمــرارٌ مـــن الخفَــرْ
ولهـــا مـــن جُفونِهـــا حــارسٌ يرسِــلُ الـشرَرْ
آهِ ! لـــولاَ موانِـــعٌ وقليـــلٌ مـــن الأثَــرْ
لتفنّنـــتُ في القَــصيدِ وجَــسّمتُه صُــوَرْ
يتهَـــادينَ مَـــاثلا تٍ ويـــنطِقنَ بـــالعِبَرْ
ولرصّـــعْتُ جيـــدَها بـــاللآلي وبالـــدُرَرْ
ونجـــومِ بريقُهَـــا يحجُبُ الـشمسَ والقَمَـرْ
«قُـلْ لمـن لامَ في الهـوَى» لا تَلُــمْ فــالهوَى قَــدرْ
ودعِ النـــاسَ يعـــشَقُو نَ ما أحبُّـوا من الـصُوَرْ
كلـــما لاحَ بـــارقٌ ذكَــر الله مَــن ذكَــرْ
أتُـــرَاهُم ملائِـــكٌ أم تُــراهُمْ مــن البَـشَرْ
أم جَمـــادٌ مـــسَنّدٌ دونَ حِــسٍّ ولا أثَــرْ
بعـضَ مـا أنـتَ واجِـدٌ أيهـــا الـــسيدُ الأبــرّ
وقلـــيلاً مـــن الحنـــانِ وقَلـــيلاً مـــن النظَــرْ
قـــد عَرفْنَـــاك شَـــاعراً شِـــعرُه رَقَّ وانهمَـــرْ
كيـف تقْسُو عـلى امرئٍ مـــا تجنّـــى ولا غـــدَرْ
ذنبُـــه إنّـــه اكتـــوَى بلظَــى الحــبِّ وانـصَهرْ
فمـــضَى يمـــلأُ الـــدُّنا بأناشـــيدِه الغُـــرَرْ
وتغنّـــتْ بـــشِعْرِه عــرَبُ البَـدْو والحـضَرْ

وقـضَى العمـرَ مـا قـضَى مـــن ملذّاتـــهِ وطَـــرْ
يــا «لَقَــيسٍ» ويَــا لَمَــا نالَـــهُ مـــن أذَى البَــشرْ
يـــا أديبـــاً خِلالُــــه خلتُهـا نـسْمةَ الـسحَرْ
نقّلِ الطّرْفَ حيثُ شِئْـ ـتَ تَـرى مـا أسـاءْ وسَرْ
وتـرَى مـا صـفَى لكُـم في هــوَى غــيرِكُم كَــدرْ
رأيكُــم كــانَ واقِعــاً فارِضــاً واقِعــاً أمَــرّ
وأرَى الـــشِّعرَ عالمـــاً مــن خيــالٍ ومــن فِكَــرْ
ولــــه صَــــبوةٌ إذا ما بَـدا الحسنُ أو خطَـرْ
وكــذا النــاسُ والحيــا ةُ زُمَــرٌ عكــسُها زُمَــر
وصَـــحيحٌ وباطِــــلٌ وارتفَـــاعٌ ومنحــــدَرْ
وقلـــوبٌ مـــن الهـــواءْ وقلـــوبٌ مِـــنَ الحجَــرْ
هكَـــذا شـــاءَ ربُّنـــا فليكُونـــوا كـــما أمَـــرْ
أينَنِـــي مِـــنْ أحبّـــةٍ ملكـوا الـسمْعَ والبَـصرْ
وفُـــؤاداً بحُـــــبِّهم ومـــــوالاتِهم عَمَــــرْ
إن تنـــاءَت ديـــارُهم وتـــوارَوا عـــن النظَــرْ
فلهُـــم في جَـــوانحِي ومقَـــرٌّ الحـــشَا مقَـــرّ
ذكـرُهم أنْـسُ وِحْـدَتي وهــمُ الـضوءُ في الـسَّمرْ
وهـم الأهـلُ في الحمَـى وهـــمُ الـــزادُ في الـــسفرْ
وهــمُ المــاءُ إن ظمِئْــتُ وإن غبّنــــي المطَـــــرْ
وهــم الطـبُّ والطّبيـبُ إذا مــــسّني الـــضّررْ

ليـــــتَهُم يقبلَـــــونَني خادمـــاً أتبـــعُ الأثـــرْ
ليــــتَهم ينظرونَنـــــي وكفَـــى مـــنهمُ النظَـــرْ
إنهـــم ســـــادةُ الحيـــا ةِ ومَـــصابيحُها الغُـــرَرْ
«أحمَــدٌ» سَـــيدُ الـــورَى مـــن بِـــه شُرِّفـــتْ مـضَرْ
و«عـــليٌّ» و«فاطمَـــةٌ» مَـن أتـتْ فـيهِمُ الـسُوَرْ
و«الحسينانِ» سـيدا الـشـ ـــبَابِ في طيّـــبِ المقـــرّ
خمــسةٌ جـــلَّ شـــأنُهم بهـــمُ الـــذنْبُ يغتفَـــرْ
وبهـــمْ يُـــدَفعُ الـــبَلاءْ وبهـــمْ ينقَـــضي الـــوَطَرْ
الكـــسَاءْ حـــينَ ضَـــمّهمْ مـــالَ واختـــالَ وافتخَـــرْ
وهْـــوَ لم يحْـــوِ غـــيرَهُم فاسألُوا عنـهُ مَـن حَـضرْ
واسْـــألوا «آيـــةَ المبَـــا هلَـــةِ» العلْـــمَ والخَـــبَرْ
هــل عنَــتْ غــيرَ سَــادتي أو سِـواهُم مِـن البـشَرْ؟
ربِّ زِدْني بهـــمُ هُـــدًى واجْـــرِهِ في دَمِـــي نَهَـــرْ

* * *

وَيلي مِنكَ يا «غَيثانُ»!

سعدَ «**الشيخ غَيثان بُكَيِّر**»؛ بمرافقَة الأديبِ الشاعر الكبير السيد **أحمد بن علي بافقيه**، في «رحلته العلاجية» التي كان أساسَها تبديلُ الجو والراحة والاستجمام، فبدت الرّحلة متناقضةً لا تستقيم مع منطِق الأمُور!

و«**غَيثانُ**» ليس له في دُنيا الشّعر ناقةٌ ولا جمل! ورُغم كلّ ما توقّع المتوقعُون، فإن السيدَ الشاعر الكبير، أحبَّ أن يسجّل تقديرَه لزميل الرحلةِ: «**غَيثان**»، سجّلها أبياتاً شعرية؛ ٨/ ٣/ ١٤٠٤ هـ:

«**غَيثـانُ**» ويـلي منـكَ يـا «**غَيثـانُ**» ... حملتَنـــي مـــا لم يطِـــقْ إنْـــسانُ

وأخـــذتَني في رحْلـــةٍ جويّـــةٍ ... تعلُـــو بنَـــا وتحطُّنَـــا أحْيـــانُ

حتّـى هبطنَـا ذاتِ صـبحٍ «لنـدَنَ» ... والمـــزنُ في جنباتهـــا هتّـــانُ

والـشمسُ مـشرقةٌ بـبعضٍ آخـر ... والجـــوُّ يبـــدُو منظـــرٌ فتّـــانُ

ودليلُنـا «**الـدكتُور حامِـدُ**» إنّـه ... في «لنـــدَنٍ» ذو خـــبرةٍ؛ رُبَّـــانُ!

ومـــشيتُما بي مـــسرعَين لفنـــدقٍ ... فيـه تلاقَـى الحـورُ والغِـزلانُ

وقضيتُ أول ليلـةٍ أشكُوى النّوَى ... ويلـفُّ صَـمْتي البعـدُ والحرمَـانُ

وأبيـــتُ في قلَـــقٍ وفي أرقٍ وفي ... شَـــوقٍ كـــأني عاشـــقٌ ولهـــانُ

وتنـامُ أنـت كـما تـشاءُ وتبتَغِـي ... وعليـكَ مـن سُـحُبِ الهنَـا دخّـانُ!

وتغُطُّ في نومٍ ثقيلٍ حَالماً   أن قَد حوتْكَ من النعيمِ جِنانُ
وهنا «**أبوفَضلٍ**» يردِّد: لا يَسُدُّ   فراغَ وحْدةِ مثلِكم «**غَيشانُ**»
سلّم عليه؛ وقلْ لَه: يا صَاحبي   ما أنتَ والرحَلاتُ والطّيَرانُ!
إن كنت تنتهزُ الظروفَ فهذِه   ليستْ على «**فِرْعونَ**» يا «**هامَانُ**»!
وتوَخَّ ذا أدبٍ يكونُ مُرافِقاً   يَزنُ الأمورَ أمامَه مِيزانُ
لبقَ الحديثِ إذا انبرَى متحدِّثاً   أصغَتْ لحلوِ حديثِه الآذانُ
وهو ابنُ بَجدَتها إذا ما احتجتَهُ   فهو امرؤٌ متكلمٌ رطّانُ
هذا كلامُ «**أبي الفَضائلِ**» إنه   يَهذي وما أدراكَ ما الهذَيانُ!
دعهُ يتيهُ فقد ترفعَ غيرُه   وتكبرَت وتجبرتْ مَروانُ!
دعْهُ وزُرنا كَي نردَّ جميلكُم   إن الجميلَ جزاؤُه الإحسَانُ
وإذا عزمتَ فبيتُنا في «**الكندرا**»   وجواره «**باشَيخُ**» و«**البَازانُ**»
سنقيمه حفْلاً بِمثلِكَ لائقاً   يأتي إليهِ الأهلُ والخلّانُ
وستسمعُون مناقِباً ما خطّها   قلمٌ! ولم يحفُلْ بها دِيوانُ!
سأقولُ فيكَ قصائداً شِعريةً   ما قالها «**شَوقي**» ولا «**مطْرانُ**»!
وسندعُوَ الدكتور «**حامدَ**» قائلـ   ـنَ له: تعَالَ فعندنا «**غَيشانُ**»!

*   *   *

غزلیات

ناعسةُ الطَّرْفِ[1]

أسْمَرا؛ شعبان ١٣٦٦هـ:

أناعِسةَ الطـرْفِ هـلاَّ ادكَـرْ ... تِ لقاءً لنا بين هَذي الزهُـورْ
حبيبـينِ نرشُـفُ خمـرَ الهـوَى ... وحيـدَين لا عـاذلٌ أو غيُـورْ
سمَى الحبُّ عن كلِّ هـمٍّ بنَـا ... فلسنا نَرى غـيرَ دُنيـا الحبُـورْ
تعـالَي نعِـدْ ليلـةً خلَّـدَت ... هوانا على صفحاتِ الـدهُورْ
ونرسِـلُ في الأفْـقِ ألحانَنـا ... تردِّدها سـاجعاتُ الطيُـورْ
تعـالي فـذا الجـوُّ هـادٍ جميـلٌ ... وذا الأفقُ مرآه يوحيْ السّرورْ
وهـذا النـسيمُ يهـبُّ علـيلاً ... فيـشرحُ للعاشـقينَ الـصدورْ

* * *

(١) من بواكير شعره.

أميرَ الهوَى!

أمـيرَ الهـوَى هـلا سـمحْتَ بـزورةٍ إذا ما طوانَـا الليـلُ والكـونُ هـاجِعُ
نقـضِّي سـويعاتٍ وحيـدَين دونَـما رقيـبٌ إلى نجـوَى الحبيبـينِ سـامعُ
وننعمَ بعْـد الهجْـرِ والبعـدِ والـضَّنى وتخـضرُّ في دنيـا هَوانـا المرابِـعُ
سَـبانيَ منـكَ اثنـانِ: قـدٌّ مهفْهـفٌ رَشـيقٌ ووجْـهٌ للمحَاسـنِ جَـامعُ
وجودُك يا رُوحي وجُودي فإن تِغبْ فـإني إلى أن ألتَقـي بـكَ ضـائعُ
إذا رمتُ أن أخفِي اشتياقي ولَـوعتي أمـامَ الـورى خانـتْ قُـوايَ المـدامعُ
أغثنـي بمـن سـوَّاك للنـاسِ فتنـةً فـإني إلى لقيـاكَ ظمـآنُ جـائعُ

❊ ❊ ❊

دَعْهَا تَثُورُ

نُشرت بملحق المدينة المنورة عدد (٦٢)، بتاريخ: ٢٤/ ٧/ ١٤٠٤هـ:

دعهَا تثورُ براكيناً وأهوالاً ... دعها تحيلُ الرَّواسي الشمّ زلزَالا
وترسِلُ الزفرةَ الحرّى مؤجّجةً ... ناراً تلظّى وغِسْليناً وأنكالا
دعْهَا تحوزُ كما شاءَ الجمالُ لهَا ... وأن تتيه كَما تهوى وتختَالا
فسوفَ تأتي وتأتي وهي نادمةٌ ... وتسْكبُ الدمعَ هتّاناً وسيّالا
وسوفَ تسمعُ منها كلّ قافيةٍ ... نظمتُ فيها أناشيداً وموّالا
دعها تقولُ ففي أخلاقهِنّ ثوى ... طبعٌ تحكّم أطْواراً وأحوالاً
تُبدي التمنُّع حيناً وهي طامعةٌ ... وتلبسُ الكِبر جلباباً وسربَالا
أستغفرُ الحسْنَ هل لي أن أقاومَه ... وفيه عاديتُ أحباباً وعُذّالا
وعشتُ طيراً أغنّي في حدائقه ... وفي مغانيهِ صَوّالاً وجَوّالا
وغبتُ عن كل ما حولي سِواه أرَى ... في الصبح لَيلاً وفي شعبان شَوّالا
إن العيون التي في طرفها حَورٌ ... لطالما قرّبت يا صاحِ آجالا
وذاتِ حُسنٍ رأت ضَعفي ومَوجَدتي ... وشاردات على فكري ولا بالا
جاءت لتسقيَني ماءً فقلتُ لها: ... يا ربّةَ الحسنِ جلّ الحسنُ أفعالا
خلّي الشراب فليس الماءُ من طلبي ... فالماءُ ملكُ يدِي نهراً وشلالا

إني عليــلُ غــرامٍ فــتّ في عــضدي　　　وهــدّ جِــسمي فحــالي بعــدهُ حــالا
أعيــذُ كــلَّ جمــالٍ مــن مخاتِلــة　　　تميلُ صــوبَ هواهــا حيــثُ مَــا مــالا
كفَــرتُ بالحــسْنِ أن تُــشرَى ممالكُــه　　　كفــرتُ بالحــسنِ خــدّاعاً وقتّــالا

* * *

رَجْعُ الأُمنِيةْ(١)

اتهمني بعضُ الإخوة بالتجني على الجمال في قصيدتي «دعها تثُور»، ووصمني البعضُ الآخر بضَعف العاطفة، فإليهم جميعاً مع حبي وتقديري أهدي هذه النفثة:

قالوا تفجّـرتَ أشـعاراً فقلـتُ لهـم ... مـا هــذي غـيرُ أنـاتي وآهـاتي
إذا سجَى الليلُ أرخيتُ العنـانَ لهـا ... فحلقــتْ عــبرَ آفـاق الـسماواتِ
تـسري مـع الـريحِ أشـواقاً مجنَّحـةً ... ترثـي وتبكِـي لياليـنـا الجمـيلاتِ
إلى أنــاسٍ تولّــوا مُهجتــي فهــمُ ... سَـعدي ونحْـسي ونِـيراني وجَنـاتي
هم علّمُوني القَـوافي كيـفَ أنظِمُهـا ... واســتأثرُوا بهمُــومِي واهتمامــاتي
فيــا رعَــى الله عَيــشي في منــازلهم ... ويــا رعَــى الله أيــامي وسَــاعاتي
إن الهوَى ويحَ من خاضَتْ مراكبُـه ... عبابَــه، عــالمٌ صــعبُ القيــاداتِ
يظــلّ صــاحبه في موقــفٍ ضَــنكٍ ... مشوَّشَ العقـل مـسلوبَ الإراداتِ
وقــائلينَ: تجنَّـــى في «قَــصيدتِه» ... وجـاوز الحـدّ في بعـضِ العبـاراتِ
وقال ما قالَ في ذات الجـمال، فهَـل ... تـراهُ يطلـبُ عنـد الحسنِ ثـاراتِ
حاشاي أنكرُ نورَ الـشمس مـشرقةً ... فـذاك مـن مـستحيلِ المستَحيلاتِ
أو أغمطُ الحقَّ أزهارَ الوجودِ ومِـن ... عبيرهــا تنتَــشي دُنيــا المــسراتِ

(١) نشرت بملحق جريدة المدينة المنورة، عدد (١٨)، بتاريخ ٦/ ٩/ ١٤٠٤هـ.

لهــنَّ عنــدي مقَــامٌ لا يطاولُــه مغــالطٌ مــسرفٌ في الادعــاءاتِ
لهــنّ شِــعْري أغنّيــهِ وأكتبُــه من ذَوبِ قلبي ومـن تقطيـعِ أنَّـاتي
محجباتٍ تـديّرن القـصورَ عـن الأ نظـار أو سَــانحاتٍ في العــشياتِ
لهن ما شئنَ من حُزني ومـن فرَحـي ومــن معانــاةِ فكــري أو خَيــالاتي
إلا الكرامةَ عنـدِي فـوقَ عَـاطفتي وصــونُها مــن بديــه الأبجَــدياتِ
فقـل لمـن يـدَّعي في الحـبّ فلـسفةً ليس الهوَى أن نضحّي بالكَرامـات
لا أبتغـي الحـبَّ عـن ذلٍّ أمارسُــه إن المذلــةَ ليــسَتْ مــن هِوايــاتي!

* * *

إلى جِيرَةِ الـمُنْحنَى

تـرفعتمُ يـا جـيرةَ المنحنَـى عنَّـا ... وخَيّبْتمُ بعـدَ الرجَـا فـيكُم الظنّـا
وأمعنتموا في الصدِّ والهجرِ والجفَـا ... وفي طلبِ اللقيا بكُـمْ نحـنُ أمعنّـا
رعَـى الله أيامـاً مـضتْ ولياليـاً ... خلـتْ كنـتمُ فيهـا لنـا مثلَما كُنّـا
تُعاطُونَنـا راحَ المـودةِ صَـافياً ... فتـسقُونَنا دنّـاً ونـسقيكمُ دنّـا
فـماذا عـدَى ممَّـا بـدَا يـا أحبتـي؟ ... وماذا جرَى في حقّكم يا تُرى منّـا؟
أهِـمُّ بـأن ألقَـى الـصدُودَ بمثلِـه ... فيمنعُني ما يمنعُ العاشـقَ المضْنَى
وأزجُـر رجـلي أن تمـرّ بحَـيكم ... فتأبى ولا تـرضَى بمغنـاكمُ مغنَـى
وقفنَـا هوانـا منـذُ كنّـا علـيكمُ ... ولم نفتَـتِن يومـاً بهنـدٍ ولا لُبنَـى
فأحرَى بكم أن لا تجورُوا وتظلِمُوا ... وأحرَى بمثلي أن يعامـلَ بالحـسْنى
تلومونُنـا والعتـبُ فـيكُم سَـجيةٌ ... وإن نحـنُ لمَنـا لا تعيرونَنـا أذنـا
ولا ذنـبَ إلا أننَـا لم يَـرُق لنـا ... سِـواكُم وأنّـا في محبـتكم ذُبنـا
إذا غبـتمُ نستفـسِرُ الـريحَ عـنكمُ ... وإن نحن غبنا لم نجد سائلا عنـا[1]
وإن نحن غبنَا أو مرِضنا هوًى بكُم ... وضِعْنا اشتياقاً لم نجـدْ سَـائلاً عنّـا
صِلُوا أو فـصُدّونا ولا تحفَلُـوا بِنـا ... إذا نحـنُ عرّجنـا علـيكُم وسـلّمنا
فإنـا سـنبقَى حـافظينَ لعهـدِكم ... نردّد فيـه الـشعرَ واللحـنَ والمغنـا

---

(١) شطر آخر: «ونسألُ بطنَ الأرضِ والأنسَ والجِنّا»، كتبه الشاعر في وسط القصيدة بخطه.

شِعْري!

إلَى التي سألتني: في أيِّ وادٍ من أوديةِ الشعرِ أهيمُ؟

سـألتينيَ عـن شِـعْري! ومَـا أدرَاكِ مـا شِـعْري!
وما أدراكِ مـا الأشـجانُ والأحـزانُ في صَـدْري
ومـا أدراكِ مـا الأحـلامُ والأوهَـامُ في سرّي
فـما شِـعريَ إلا صُـو رَةُ الواقـعِ مـن أمْـرِي
ومـا ألقـاهُ في دنيَـايَ مـن حُلـوٍ ومـن مُـرّ
هـو الأشـواقُ أرسِـلها مـع الليـلِ إذا يَـسري
هـو الأنـاتُ أبعثُهـا تـذيبُ جلامِـدَ الـصّخرِ
هـو الرقـةُ في الألحـانِ أو في نِـسْمةُ الفَجْـرِ
هـو الـصهباءُ مـن كأسـا تِهـا منظَرُهـا يفْـرِي
هُـو الزهْـرُ وهـل أحـلَى لعينيـكَ مـن الزّهْـرِ
خُذيـهِ مجَـدَّداً شَـوقي خُذِيـهِ فاضِـحاً أمْـرِي
خذيـه مـن دَمـي ينـسا بُ يا مَن أشغَلتْ فِكـري
خُذيـهِ واقْرئِـي أبيـا تَـهُ للبـيضِ والـسُّمرِ
وقـولي لبنـاتِ الحـيِّ مـسكينٌ فتَـى الـشِّعرِ

يعـــيشُ متـــيمَ اللـــبِّ ويحيَـــى ضـــائعَ العُمـــرِ
وجِدِّي واهجُرِي ما كَانَ شئت مِن صدٍّ ومن هَجْرِ
ومَنّينـــي وزِيـــدي لَـــو عَتِـــي جَـــمْراً عـلى جَمْـرِ
فـــــإني قـــــانعٌ راضٍ بـــا يرضـيكِ مـن أمْـري

* * *

إِيْطَالِيةٌ!

إيطَاليّةٌ حُسنُها نابوليٌّ   وفيهِ سِماتٌ من المشرِقِ

عجبتُ لها جَمعتْ بين لَو   نَينِ سحرُهُما قلّما يلتقِي

لَواحِظُها متعةُ الناظرِ   ينَ ومجلسُها جُنّة المتّقِي

وتحكِي وتمزحُ في لثغةٍ   فتأخذُ مِنْ عَقلِهمُ ما بقِي

أحَبّتْ من اللُّبسِ لون السَّوا   دِ حكَى رقّةً ذوقُها المنتقِي

فزادَ وأضفَى على جِسْمها   بهاءً من الأروَعِ الشّيقِ

سَوادٌ علَى بدنٍ أزهَرٍ   فيَا لي من ذلك الرّونَقِ!

أسمرا

* * *

لاَ تلُمْني!

لا تلُمنِـــــي إذا تعلَّـــــقَ قَلبـــــي وسَــــبَتْني نعُومـــــةٌ ونـــــضَارهْ
لا تلُـمْ مهجَتِـي إذ سَـجّلَ الحُســ ـنُ على خَاطري وفكري انتـصَارَهْ
وإذا مــا رأيتَنــي عاشِــقاً للــوَ رْدِ يَومــاً أو قَاطِفــاً أزهَـــارَهْ
لا تلُمنِــي فالحــبُّ ســلطانُه أقــ ـــوَى ونيرانُــه أشَــدُّ حَــرارَةْ

* * *

مَن أنا! أيُّ مَنعَةٍ يا تُـرى عِنـد ي بهـا أتّقِـي سِـهامَ العُيـونِ
وخــدوداً تــورّدتْ وقُـدوداً تَتهـادَى كَمائـساتِ الغُـصونِ
وارعَنِي هـذا الجـمالَ ودَعنِـي في سُكوني وعُزلَتي وشُـجُوني
وتــذكّر تــاريخَ لَـيلى ومَــاذا فعلَـتْ بـابنِ عمِّهَـا المجنُـونِ

* * *

مـا أنـا غـيرُ طَـائرٍ في سَـماء الـ ـحُبِّ دَامي الخطَى مهيضُ الجناحِ
مـــا أنَـــا في مَراتـــعِ الغيـــدِ إلا ريـشةٌ في مهـبِّ هُـوج الرِّيـاحِ
أو طريحــاً مرنَّحــاً ثَمِــلاً مِــنْ غَـــير مَـــا خَمْـــرةٍ ولا أقْـــدَاحِ
أو صَريعـــاً تناوَشَـــتْهُ بِـــلاذَ نْـــبِ ولا رحمـــةٍ لحــاظُ المـلاحِ

* * *

لا تلمني إن كنتُ حاوَلتُ أن أنجُو بنفْسي مـن الهـوَى لا تلُمنِـي
فكفَـاني مـا نلتُـه مـن صُـدودٍ وجحُـودٍ ولَوعـةٍ وتجنّـي
ضاعَ عُمـرِي مـا بـينَ مَـدٍّ وجَـزرٍ ووعُـودٍ مكذُوبـةٍ وتمنّـي
رُبَّ حُـسناً وثقـتُ فيهـا فأمـسَتْ لـستُ منهَـا يومـاً ولا هـيِ منّـي

* * *

أنـا لا أملـكُ اتّـزاني ولا ألْـو ي عِنَـاني إذا رأيـتُ جَمـيلا
وسواءٌ عنديْ شربـتُ أجاجـاً في هَـواهُ أو بـارداً سلـسَبِيلا
لي فؤادٌ يحسُّ شَوكَ الهوَى وَرداً وحـرَّ الجـوَى نَـسِيماً عَلِـيلا
ولهـذا سـقطتُ صَـباً مُعنّـى وتهاويـتُ بَيـنهُنّ قَتِـيلا

* * *

متفرقات

القَمَرُ الروسيُّ

أولُ قَمرٍ أرضي تجاوزَ الجاذبيةَ الأرضيةَ، واتخذ له مداراً حولها، واصطحبَ معهُ الكلبة (لايكا):

أطلقُــوهُ فهــبَّ يطْــوي الفَــضاءَ وتعــــالَى يُطَــــاولُ الجــــوزَاءَ
ســـابحاً في عـــوالمِ الأفــقِ يغْــدُو لا يبـــالي الإعْـــصارَ والأنـــواءَ
يحـــسِنُ اللـــفَّ جِيئـــةً وذَهابـــاً ويجيـــدُ الحـــديثَ والإصـــغاءَ
ســـامقٌ يرسِـــلُ الإشـــاراتِ عِلْـــماً وينـــاجِي بـــسرِّه الخـــبراءَ
يـــا لـــهُ مـــن معلَّـــمٍ أدهـــشَ العـــا لـــمَ طُـــراً وحَـــيّرَ العُلـــماءَ
فـــإذا هُـــم مـــن صـــنعهِ في ارتبَـــاكٍ وذُهـــولٍ لا يـــسمعُونَ نِـــداءَ
وإذا جمْعُهـــــم إمـــــامٌ عَظـــــيمٌ بـــــزّهم عبقريـــــةً ودهَـــــاءَ
قُـــل لمـــن مـــسّهُ الغُـــرورُ: روَيـــداً ولمـــنْ يـــدّعي: دَعِ الخُـــيَلاءَ
هاهُنــــا مــــوطِنُ النبُــــوغِ فمَــــنْ را مَ مكانـــاً فليغـــزونَّ الـــسماءَ
أو ليـــصمُتْ فلـــم يعُـــدْ ثـــمَّ قـــولٌ لـــدعيٍّ يطـــاولُ البلغـــاءَ
أيهـــا الطّـــائرُ المحلّـــقُ لا زَا دا لَدَيـــهِ ولا يريـــدُ المـــاءَ
مُـــوغِلاً في فَـــضائِه مُستَـــشِفّاً سِرَّ مـــن حَـــلَّ القُبّـــةَ الزرقـــاءَ
قُل لَنا: كيفَ حالُ من سَكنُوا الجوَّ؟ وهَـــلْ فيـــه مـــن يطِيـــقُ البقَـــاءَ؟
كيــفَ أشــكالُهم؟ وكيــفَ المبَــادِي؟ قُـــل لنَـــا هـــلْ وجـــدتَها حَمـــراءَ

وهَـل القـومُ في صِراعٍ وهَـلْ عَيـ ... شَـتهُم مثلُنـا تثِـيرُ الرثَـاءَ
يوسِـعُون الـضّعيفَ ظلـماً ويُـسْد ... ونَ إلى الغاشِـم القـويِّ الثنَـاءَ
وإذا مَـا قَـضيةٌ شَـغلتهُم ... حكّمـوا فيهـا البغْـضاءَ والـشّحناءَ
أم تُـراهم يـا صَـاحِ أعقَـلُ مـن أنْ ... يرتَـضُوا عيـشَنا وأرقَـى ذكَـاءَ
أيهـا «الكَلبـةُ الـسّعيدةُ»! يـا مَـنْ ... طوّفـتْ في دقـائقِ الأجْـواءَ
حـدّثينا عـن الكَواكـبِ هَـل لا ... قَيـتِ فيهـا معـاشراً أحْيـاءَ
وصِـفي عـالمَ الـسماءِ ومَـاذا ... في ذُراهُ؟ صِـفي الهـوَا والمـاءَ
وهـل العـيشُ فيـه سَـهلٌ رَخِـيٌّ ... وهـلِ الـريحُ فيـه تجـري رُخَـاءَ؟
خـافَ قـومٌ عليـكِ! فانـدفعوا بـا ... لاحتجاجـاتِ يَمْـلأونَ الـسّماءَ!
جَزعُوا - ويحهم - وهُـمْ حكَمُـوا أمْـ ... ـسِ عَـلى أمّـةٍ تَـمُوتُ عَـراءَ
شرّدوهـا عـن أرضـها وأحلـوا ... في حماهـا أباعـداً غربـاء
جزِعُـوا رحمـةً بكَلْـبٍ وهُـم لَـم ... يرحَمُـوا مـن ذويهـمُ الأبرِيـاءَ
«دَيـرُ ياسِـينَ» لم تحـرّكْ لـدَيهِمْ ... سَـاكناً يـومَ أصـبحتْ أشـلاءَ
واسألوا «القُدْسَ» عنهمُ واسألوا حيـ ... ـفا و«يافـا» وفِتيـةً عُـزَلاءَ
يـوم عـاثَ اليهـودُ قـتلاً وتدمـ ... ـيراً وصَـبُّوا عـلى بنيهَـا الـبلاءَ
هل رثَى حالَـهُم وهـل رَحمـوا شَيـ ... ـخاً صَريعـاً أو صـبيةً أو نِـسَاءَ
جَزعُـوا ويحهُـمْ وهُـمْ يَمـلأونَ الأرْ ... ضَ جَـوراً ويَـسفِكُونَ الـدِّماءَ

❊ ❊ ❊

أيُّها القَمَرْ!

أيها القمرُ! لئن غزاكَ الإنسان؛ وكشفَ عن بعض زواياك، وطمِعَ في المزيد. لئن اكتشفَ فيك ما ظنّه البعضُ نقضاً للنظرة السائدَةِ إليك. فسوف تظل ذلك الكوكبَ المضيءَ، المطلَّ على دنيانا بوجهك الباسم الضّحُوك، تُسَامر العشاق، وتلهم الشعراء، وتهدي السائرِين:

سَـتظلُّ تطِـلُّ عـلَى البَـشرِ ... بمُحيَّـى مؤتلِـقٍ نـضِرِ
وتَـذيبُ وتعكِـسُ أنـواراً ... سـلوَى للقلـبِ وللبـصَرِ
ترسِـلُها هادئـةَ الألـوا ... نِ بِـلا مـنٍّ وبِـلا كَـدرِ
للمفترِشِـينَ لهـم رَمْـلاً ... والمتكئـينَ عـلى سُرُرِ
سيظَلّ الـشّاعرُ يـستوحيـ ... ـكَ قَـصائِدَ خالـدةَ الأثَـرِ
ويظـلُّ العاشـقُ يَـستَجدِيـ ... ـكَ حضُورَ الوعـد المنتظَرِ
سـتظلُّ بَهيجـاً مبتَـسماً ... تُغـري بـاللهوِ وبالـسّمرِ
رغـمَ العـذّالِ ومـا حملـتْ ... آلاتُ «أبولّلـو» مـن خَـبرِ
وصَـفُوكَ جمـاداً لا يَعْـدُو ... كَومـاً مـن طـينٍ أو حَجـرِ
وأخادِيـداً وبَراكينـاً ... تَرمِـي بـالجمْرِ وبالـشّررِ
هـلْ فـيما قَـالوا مِـن بَـأسٍ ... هلْ فـيما نقلُـوا مـن ضَررِ؟
كـان العُـشّاقُ بفطْـرَتهم ... لـكَ أحبابـاً دونَ البـشَرِ

واليــومَ فطاحِلــةُ العلــما ... ءِ إزائَـكَ مـشدُودو النظَـرِ
وكبــارُ القــادةِ والعظَــماءْ ... قَـد شُـغِفوا حُبـاً بـالقَمرِ
بــذلُوا الأمْــوالَ مؤثّلــةً ... وجُهــوداً مُـضْنيةَ الـسَفرِ
لــو أفنَوهــا في كــوكَبِهم ... لجنَــوا منهــا حلــوَ الثّمَــرِ
بــالعلمِ غــزاكَ الإنْــسانُ ... ومــضَى لا يعبــأُ بــالخطَرِ
يطْــوِي أجْــوَاءً نائِيــةً ... عاليــةً في لمــحِ البــصَرِ
بالعلمِ؛ ولـيسَ بغـير العلــ ... ـمِ يُـزاحُ حِجابُ المستَترِ
بالعلمِ؛ وليسَ العلمُ سِوَى ... ســلطانٌ ينطِــقُ بالقــدَر
مــن كـانَ العلـمُ لـهُ بابـاً ... دخـلَ المجهُـولَ بـلا حَـذرِ
وكـذا الإنـسانُ بـهِ أكـرِمْ ... وبــهِ أعظــمْ مــن مُنتَـصِرِ
أودَعــهُ العلْــمَ وألهمَــهُ ... مــن يعلــمُ خائنــةَ النظَــرِ

❊ ❊ ❊

وَجْهُ الحقِيقَةِ

كثيرونَ هم أولئك الباحِثونَ عن السعادة في غَير مواطنها، وكثيرون هم أولئك الذين يتعجّلونَ الأمورَ، ويتّبعون الظن، وربما اتهمُوا وأدانوا أحبة لهم أبرياء، ويعيش الشاعر متشبثاً بأواصر الألفةِ، مقيماً على العهد، لا يستبدل خلاً بخل، ولا صديقاً بصديق، متفاعلاً مع واقعِ أمته وهمومها، مثقلاً بشُجونها وشؤونها:

وجــهُ الحقيقــةِ يــا أولي الأبــصَارِ   لا شيءَ يحجُبــهُ عَــن الأنظَــارِ
أنَــا مــن «غُزيَّــةَ» إن تقُــمْ أبــقَ   وإنْ ترحَــلْ أشُــدُّ إزارِي
لا أرتَــضي خِــلاً بخِــلٍّ في مُعَــا   ملَتــي ولا جَــاراً بــديلَ الجــارِ
مهــلاً فــديتُك يــا ابــن وُدّي إنّ بعــ   ــضَ الظّــنِّ محسوبٌ مــن الأوزارِ
فلعــلّ لي عُــذراً وأنــتَ تلــومُني   ولعــلّ لي حَقــاً وحلمُــكَ داري
مهْــما هجَــرتَ فــإن وُدّي ثابــتٌ   أو كنــتَ بيّاعــاً فــإني شَــاري
قــد كنــتَ في المــاضي مِثــالاً يحتــذَى   حــلّاك خلــقٌ كالنّــسيم الــسّاري
مــاذا دَهَــى الإنــسانَ في أفكــارِه   ومــصيبةُ الإنــسانِ في الأفكــار!
أتُــراه عــادَ عليــكَ مــا لمْتَــهُ   وجمعتَــهُ مــن فِــضّةٍ ونُــضَارِ
إن كنــت تطمــعُ في الــسعادة تلقَهــا   تحتــلُّ زاويــةً بــسَاحِ الــدارِ
أتظنّهــا بــين «الــسِّماك» مكانهــا   أو قلعــةً تحتــاطُ بالأسْــوارِ
أو طَلــسماً أعيَــى الفطاحــلَ حلُّــه   أو ســلعةً تبتــاعُ للتجّــارِ

هوّن عليكَ من الأمورِ عظيمَها   ودعِ الخيارَ لحكمةِ الأقْدارِ
واعملْ وكَافحْ ما استطعتَ مشمِّراً   إن الكفاحَ مطيةُ الأحرارِ
دعْ كلَّ ماءٍ قد تغيّر طعمُه   واشربْ من النبعِ النميرِ الجاري
وإذا الربيعُ أتَى فصفّق للرّبـ   ـيعِ وعِشْ مع الأزهَار والأنهارِ
واربأ بنفسِكَ أن تُرى بينَ الورَى   إلا عَزيزَ النفْسِ والمقْدارِ
متحلياً بالعفْو والصبرِ الجميـ   ـلِ مُتَيماً بالخيرِ والأخيَارِ
وإذا دعَاكَ إلى الرّذيلةِ فاسقٌ   دَعْهُ فذلكَ من «**كِلابِ النّار**»
هذي شكاتُكَ فاستمعْ لشِكايَتي   فلعلّها تأتيكَ بالأخبارِ
فلكُلِّ حيٍّ في الزّمانِ همومُهُ   وحياتُنا جُبلَتْ على الأكدارِ
أنا منذُ أن وهنتْ سواعِدُ أمّتي   وعَدا عليها كل وحشٍ ضَارِ
وتنكرَتْ لتُراثها ومشَى التّنا   حُرُ بينَها كالنّار كالإعْصَارِ
ألغيتُ من «برنَامجي» طيبَ الكَرى   ومجالسَ الندماءِ والسُّمارِ
حطّمتُ كأسي! لا أريدُ سُلافةً   وكرهْتُ لونَ الخمْرِ والخمّارِ
وعزفتُ عن عزْف **الكمانَةِ والربَا**   بِ وعفْتُ صَوتَ النايِ والمزمَارِ
كيفَ السّلوُّ وأمتِي وعُروبَتي   مهتوكةُ البنيانِ والأسْتارِ
في كلّ يومٍ تستغيثُ ولا مُغيـ   ـثَ يقيلُ عثرتَها ولا مِن جارِ
وتظلُّ تَصرُخُ عبرَ كل «**وَسيلَةٍ**»   يا «**آلَ قَحطانٍ**» ويا «**لَنِزَارِ**»
عارِي يجلّلني ويجرحُ عزّتي   من لي بمَنْ يمحُونَ «**وصمةَ عَارِي**»

❊ ❊ ❊

مُوتوا بغَيظكُم!

إلى أولئك الذين أعمى الجهل بصائرهم، وأكل الحسد قلوبهم، وقعد بهم العجز والبلادة عن مجاراة الرجال، فقابلوا الإحسان بالإساءة، والجميل بالنكران:

موتُوا بغيظكُمُ والحقدِ والكمَدِ ... يا من رضَعتمْ لبانَ الجهْلِ والحسَدِ
فضلي عليكُم به الأيامُ شاهدةٌ ... مَهما جحدتم من الإحسان كلَّ يَدِ
كفاكمُ ما بكُمْ من سُوءِ منقلَبٍ ... ومن خمولٍ ومِنْ غشٍّ ومن عُقَدِ
قُولوا إذا غبتُ عنّي كلَّ مختلَقٍ ... وردِّدُوا ترَّهاتِ المحرَقِ الكبِدِ
فلن تفيدَكمُ شيئا مزاعِمُكم ... وهل يضرُّ نُباحُ الكَلبِ بالأسَدِ
إني لأرثَى لمن في مِثْلِ مَوقِفِكم ... يا من فقدتُمْ طباعاً خيرَ مفتَقَدِ
تركتكُمْ وامتطيتُ المجْدَ منطلقًا ... ونلتُ ما نلتُ من جِدِّي ومن جَلَدِي
وأنتم بين مَغْمُورٍ ومطَّرحٍ ... وعَاجزٍ قاصِرِ التفكير مُنتقَدِ
حتى إذا وضَحتْ شمسُ النهارِ لكم ... وبانَ ما بينَنا من شاسعِ الأمَدِ
ثارت نفوسُكمُ غيظاً فما وجَدتْ ... لشأنكم رُغمَ صُغرِ الشَّأن من سنَدِ
عذرتكُمْ ليس غيرُ الجهلِ من مرَضٍ ... أعمَى خُطاكمْ ولا أبقَى على أحدِ
عذرتكُمْ إن داءَ الحقدِ أهلكَكُمْ ... يا مَن لمستُ مدَى نكرانِهم بيَدي

* * *

الخليجُ العربي ..

هــذا الخلـيجُ العَــربي اللؤلـــؤيُّ الـــذَهَبي
عـــلى روابي شــــطِّه تحلُـــو ليـــالي الطــرَبِ

* * *

يـــا بُقعـــةً خَـــضْراء مــــن أرضِ العـــربْ
لــك عنـدَنا مـا شـئْتِ من طلبٍ وإن عزَّ الطلـبْ
نفـديكِ بالغـالي وبالغَـا لي يـضحّي مَـن أحـبْ

* * *

حلّقــتِ في أفُــقِ المعـالي وفتَنــتِ سُـمَّارَ الليــالي
وغــدَوتِ جَــوهرةً يتيــهُ بلونِهَــا عِقْــدُ الجـمالِ

* * *

إنا عـشَقنا منظـرَ الأصيـلْ على ضفافِ شطكِ الجميلْ
ملعَبِ كـلِّ أهيـفٍ نحيـلْ وكل طرفٍ ضَاحكٍ كَحيلْ

* * *

والأرضُ في تربتكِ الأمينةْ قد أودِعَتْ كنوزَها الثمينةْ
فانفجرَتْ خيراتها الدّفينـة عـلى ثَـراكِ نهـضةً وزينـةْ

مراثی

رِثاءُ وَالدَةِ الشّاعرِ

البيتُ بعدَكِ أمسَى خَاويَ الحجَرِ ونحنُ فيهِ بلا حِسٍّ بلا أثَرِ
قد لفّنا الصّمتُ إلا صَوتُ دامعَةٍ أوادمِع أو جَعتهُم ضربةُ القَدَرِ
حتى الصغارُ اختفَتْ عنهُم بشَاشتُهم ولم يُفِدْهُم نقيراً عَالمُ الصِّغَرِ
ما كنتُ أحسِبُ أنّ البعدَ يرصُدنا وأننَا في دَياجي ليلةِ السّفَرِ
وأننا بعدَ سَاعاتٍ مقدّرةٍ نغدُو جميعاً بلا سَمعٍ ولا بصَرِ!
حتّى قَضَى اللهُ ما شاءتْ إرادتُه وما قضَى ليسَ يغْني عنهُ من حَذرِ
وكان ما كانَ؛ مما هَدّ جانبَنا ونالَ منّا فما أبقَى ولم يذَرِ
كنا شكَونا النّوى حتّى إذا برئَتْ أشْواقُنا وتلاقَينا علَى قدَرِ
ذهبتِ طيّبةَ الأنفَاسِ عَاطرةَ الـ ـذِكرَى وخلفتِنَا للضُرِّ والكَدَرِ
وبعدَ يومِكِ لم تَصْفُ الحياةُ لنَا وأصْبَحتْ عبراتٍ ذُبْنَ بالعِبَرِ
ما عدتُ ألمحُ فيهَا منظَراً حَسناً فكلُّ شيءٍ أمَامي باهتُ الصُّورِ
نشَأتِ في طاعَة لله خَالصَةٍ ما شَابها في نعيمِ الأرضِ مِنْ وطَرِ
وعشْتِ صالحةً بالذكرِ مولَعَةً عندَ المسَاءِ وفي الآصَالِ والبكَرِ
صديقُ عُمرِكِ من كانتْ مجالسُه معمورةً بهُدَى الآياتِ والسّوَرِ
وكم تحملتِ في دنياكِ من نَصَبٍ وكم أرقْتِ مواساةً لمنكَسِرِ
وطالما ذرَفتْ منكِ الجفُونُ وكَمْ جادتْ بدمْعٍ على الأحبابِ منهَمِرِ

حتى غدَتْ لكِ روحٌ جِدُّ صَافيةٌ تَرَى وتسمَعُ ما يخفَى على النظَرِ
كم أزعجَتكِ من الأحْلامِ طارقَةٌ فعشْتِ في قلقٍ منهَا وفي ضَجرِ
ولم تكُنْ تلكُم الأحلامُ عابرةً لكنهُ قَد تلاهَا صادقُ الخبرِ
فلتَذهَبي حَيثُ مَأوى الصّالحينَ وإنّا لاحِقُون بلا شَكٍّ على الأثَرِ

* * *

جَدِّي

بعدَ سمَرٍ عائلي ممتعٍ للشاعر، مع جده السيدِ عبد الله بن محمد بافقيه؛ الذي كانَ في تلك الليلةِ كأقوَى ما يكون، حَديثاً، وحَيويةً، فوجئَ الشاعرُ بمن ينبئه قُبيلَ الفجرِ بوفَاةِ جدّه على فراشِ النوم! وكان ذلكَ [بتاريخ]: ١٣/ ١٢/ ١٣٧٣هـ، دوعن، القرين:

أحقاً قضَيتَ العَهدَ يا حَافظَ العَهدِ ... وآثرْتَ دارَ الصّدقِ والعالم الخلدِيّ
وودعتَ دُنيانا على حِين غِرَّةٍ ... وفارقتَنا في مضجعِ النّوم يا جَدّي!
وقد كنتَ فينا أمسِ ترتَعُ صِحّةً ... وترفلُ من صَافي المسراتِ في بُرْدِ
وكنتَ مساءَ الأمسِ تجلسُ بينَنا ... تسيّر مجرَى القَول بندا على بند
وكنتَ مساءَ الأمسِ تجلس بيننا ... بشُوشاً ضَحُوكاً تمزجُ الهزلَ بالجدِّ!
تحدّثُنا في بهجَةٍ ودُعابَةٍ ... تضَمّنُها ما شئتَ من خالصِ الرّشْدِ
وتلقِي علينَا في الحياةِ تجارِباً ... وتُسدي لنا نُصْحاً ألذَّ من الشَّهدِ
إلى أن مضَى من كاملِ الليلِ ثلثَهُ ... وأبديتَ إشْفاقاً علينا من السّهدِ
أمرْتَ بأن نَأوي إلى حُجراتِنَا ... فهلْ أنتَ يا مَولايَ كنتَ على وَعْدِ؟
وما هي إلا ضَجعةٌ حلَّ بعدَها ... قضاءٌ له لا يملِكُ المرءُ من رَدِّ
أتيتُ إلى حيثُ اضطجعتَ مُهَرْوِلاً ... أغالطُ نَفسي! فاقدُ الوعْي والرّشْدِ
كبيتُ على فُودَيكَ أبكِي مُقَبّلاً ... جَبيناً لنَا يا طالما شعّ بالسّعدِ

أناديـكَ يـا زيـنَ التُقـاةِ وسـيدَ الـــ ـــثِقاتِ ويـا عَـالي المطَالـبِ والقَـصدِ
أناديكَ: «جَـدّي»! في التيـاعِ وحَـسْرةٍ وفي لهفـةٍ جلـتْ عـن الوصْـفِ والحـدِّ
أناديـــكَ والآلامُ تـــنهشُ مُهجَتِـــي وفي القلـبِ إعـصَارٌ يكـادُ بـه يُـودِي
أناديـــكَ في غَـــمٍّ وكَـــربٍ وحُرقَـــةٍ فلـمْ أحـظَ يـا خـيرَ النُّهـى منـكَ بـالرّدِّ
وفي الـدارِ حَـولي أسرةٌ لـكَ عِنـدَها من الحزنِ والأشْجانِ أمثالُ ما عنـدِي
عـلى رأسِـها زوجٌ قـضتْ كـلَّ عُمرِهـا تبادِلُـكَ الإخـلاصَ في صَـادق الـوُدِّ
تُـسَائِلني -مِسكينَةً- مـا بَـدا لكُـمْ؟ ومـا جَـدَّ في هـذا الـصباحِ مـن الجـدِّ؟
ومَـا علمـتْ أنـا تنَـاثرَ جمعُنَـا! وأنّـا فقَـدْنا اليـومَ «واسِـطةَ العِقْـد»
نعَوكَ! ولم ينعَوا سـوَى الفـضلِ والنّهـى سِوَى الزُهْدِ والتقْوَى سِوَى بَاذِخِ المجـدِ
فَـوا أسَـفاً إن قَـدْ غـدَوتَ مجنْـدَلاً بغـيرِ حِـراكٍ لا تعيـدُ ولا تُبـدِي
وواحـسْرَتي أن لا أرَى وجهَـك الـذِي تَـشعُّ سِماتُ الفـضلِ منـهُ عَـلى بُعـدِ
وأُمـسي ولم أسْـمَعْ إذا جنّنـي الـدُّجَى مناجـاةَ «عبـد الله» للـصّمَدِ الفَـرْدِ
ودونَـك يـا زيـنَ التُقـاةِ مكانـةٌ أعِـدّتْ لأهـلِ الله في جَنـةِ الخلْـدِ

❊ ❊ ❊

فقيدُ حَضْرمَوت ..

في رثاء زَعيم البلاد السيدِ مصطفى بن أحمد المحضار، المتوفى بدوعن؛ الأربعاء ٨ رجب سنة ١٣٧٤هـ، وقد ألقيتْ في حفلة التأبين الكبرى التي أقيمت بدوعن في اليوم الرابع لوفاة الفقيد العظيم:

دوعن؛ ١٢ رجب سنة ١٣٧٤هـ:

عَقَـدَ الخطـبُ منطقـي ولـسَاني ... فـبماذا أَرثـي فقِيـدَ الزمـانِ

مـن مُعـيري يراعَـه لحظـاتٍ ... فيَراعـي قـد خَـانني وجفَـاني

نالـهُ مـن صُروفِ دنيـاهُ خَطـبٌ ... رُجَّ مـن فَـرط هولِـه المشرقانِ

وانحنَـى منـه دوعـنٌ وكـسَتهُ ... ظلـةٌ مـن سـحائبِ الأحـزانِ

فغَـدا كاسـفاً وأمْـسَى كئيبـاً ... بـلْ يتـيماً مـن لليتـيمِ العـاني؟

يـا لـصوتٍ دوَى فـدوّى لـه الـوا ... دي ومـادَت جبالُـه والمبـاني

أعلَـنَ الحـادثَ المهـولَ عـلى النـا ... سِ فخـارت عـزائمُ الـشجعانِ

قال: أودَى ربُّ الندى مصطفَى الـ ... ـمحْضارُ وانهـدَّ أمنـعُ الأركـان

وخبَـا ذلـك الـسراجُ الـذي شـعَّ ... سَـناه للمـدلجِ الحـيرانِ

وهـوَتْ قبـةُ المكـارمِ والفـضْـ ... ـلِ ودُكّـت منـارةُ الإحـسانِ

واشـقاءَ النفُـوسِ واحـسْرة الأكبـا ... دِ واضـيعةَ المنَـى والأمَـاني

يـا فقيـدَ الـدِّيار يـا سـيِّد الأبـــ ـــرارِ يـا مَـن رقَـى عـلى الأقـرانِ
يـا مـلاذَ الـبلاد يـا كعبـةَ القـصَّـ ـــاد فيهـا يــا مُــروِي اللهفَــانِ
يـا عِـمادَ الـوادي إذا مـسَّه الـضـ ـــرُّ وحاميـهِ مـن عَـوادي الزمـانِ
خطبــك الفــادحُ المــؤثِّر أدمَــى كــلَّ قلـــبٍ وهـــدَّ كـــلَّ كيـــانِ
لم تجـدْنا مِـن بعـدِه بـين مكلــو مِ حـــزينٍ محطَّـــمِ الوجْـــدانِ
وكئيـبٍ جـمٍّ الأسَـى واجـمَ النفــ ـــسِ وبـــاكٍ وذاهـــلٍ حـــيرانِ
يـا حبيـبَ القلُـوب نَـم! إنّ ذكـرا كَ عـــلى كـــلِّ خـــاطرٍ ولـــسَانِ
سوفَ تحكي عنكَ الليـالي وتـروِي وتغنِّـــي قوافِـــلُ الركْبَـــانِ
بعَديــدٍ مـــن المـــبرَّاتِ والآثَــا رُ خُطَّـــت عـــلى جبـــينِ الزمـــانِ
ونـدًى يخجِـلُ الـسحابَ إذا جـا دَ وأهمَـــى بالـــصيِّب الهتَّـــانِ
وإلى المنـزلِ الرحيـبِ مـن الخلْـد وداعـــاً إلى رفيـــعِ الجنـــانِ
وسـلامٌ عليـكَ يـا مـصطفَى الـوا دي المفـدَّى ويـا وحيـدَ الزمـانِ

❋ ❋ ❋

فَقيدُ الفَضائلِ

في رثاء فقيد الفضائل والمكارم، السيد علوي بن محمد المحضار، المتوفى بدوعن في جمادى الأولى سنة ١٣٧٨هـ:

الخبر؛ جمادى الأولى سنة ١٣٧٨هـ:

شـيِّعوا إثـرَه العُـلَى والمكـارِمْ	وأقيمُـوا عليـه كُـبرَى المـآتمْ
وانـدُبوا المجْـدَ باذخـاً ومَـشِيداً	واندُبوا الفضلَ والنهى والعزائمْ
وارفعوا خالصَ العزاءِ إلى الأخـ	ـلاق في الأريحيِّ من آل هاشمْ
ودعُوا الجودَ يبكِه فمصَابُ الـ	ـجودِ فيـه وخطبُـه متفَـاقمْ
واجمِعُـوا أمـركم فـما علـويٌّ	غـيرُ ليـثِ العَـرينِ أو كالقاسِـمْ
فقـدَت فيـه حـضرموتُ عظيـماً	نـادرَ المثـلِ في الرجَـال الأعَـاظمْ
طيِّـبَ الـذكر نـيِّرَ الفكـرِ محمُـو	دَ السُّرى واضـحَ المحجَّـةِ حـازمْ
ثابـتَ الـرأي هادئـاً مطمئنـاً	لا يبـالي بـما روَتـهُ المـزاعمْ
ألمعـيٌّ كـم كـانَ بالمثُـلِ العلـ	ـيا شَـغُوفاً وبالفـضَائل هـائمْ
عاشَ ملء الأسْماع في الناسِ والأ	صَار ملء القلوبِ ملءَ المفاهمْ
لا يُـرَى غـير مـصلحٍ همُّـهُ أن	يجمـعَ الـشمْل أو يـردَّ المظـالمْ
أو كـريمٍ نوالُـه يخجـل الـضيـ	ـفَ ويزري بما حكَوا عن حـاتمْ

أو حليمٍ عـافٍ عـن النـاس مهـما بـــالغُوا في أذاهُ للغـــيظِ كـــاظمْ
أو رحــيمٍ موفَّــقٍ يــصنعُ المعـــ ـروفَ جمـا أو سَـاجدا أو صَـائمْ
تلكَ يا قومُ بعضُ أوصَافِ علَويْ فَـــأروني نـــدًّا لـــه أو مُـــزاحمْ
بعضُ أوصافِه ولو شئتُ أحـصِيـ ـها لـضاقَتْ بها بطـونُ المعـاجمْ
وكـأني بــه عــلى الربــوَةِ الـشمّـ ـاءِ في منـزلٍ عـلى الفـضْل قـائمْ
رائحــاً غاديــاً بطلعتِــه الغــرَّا ءِ في بِـــشْره الحبيـــبِ المـــلازمْ
بـــين أضْـــيَافه الكثـــير يحيــــ ـهِم ويُزجي لهـم شـهيَّ الـولائمْ
غــامراً جمعَهُــم بخُلــقٍ عجيــبٍ أيــنَ مـــن لطفــه أرقُّ النـــسائمْ
شـــبَّهوا خُلقَـــه ومـــا أنـــصفُوه بالبـــساتينِ في الربيـــعِ الحـــالمْ
أيـن لـونُ الريـاضِ داعبَهـا المـاءُ نمـــيراً وظللتهـــا الغمائِـــمْ
من بشاشاتِ وجهـهِ وهـو دومـاً لم يـــزلْ مـــشرقَ الأسرَّة باسِـــمْ
يــا أبــا جَعفــرٍ رمتْنــا الليــالي فيـكَ بالحـادثِ العتـيِّ الـدّاهمْ
فكـــأني بــــدوعنٍ يـــومَ منعَـــا كَ كئيبـــاً وحُزنُـــه مـــتراكمْ
ظللتـه الأشـجانُ فـالأرضُ حَـــ ـــزْنَى كـساهَا الـسوادُ القــاتمْ
وكـــأني بأهلِـــه ذاهــــلٌ أو قاعدٌ مـن فداحـةِ الخطـبِ قـائمْ

❊ ❊ ❊

فَقِيدُ الشّعْبِ[١]

فجَعتنا الأيامُ على حين غِرّةٍ في أستاذنَا وصَديقنا الأديبِ الشاعر، والصحفي المعروف، السيد حسين بن محمد البار، فإلى رُوحِه الطاهرة أهدي هذه القصيدة؛ محرّم ١٣٨٥هـ:

عَــزِّ الـــشبابَ الحــرَّ في صَـــفوتِهْ ... وانـــدُبْ لُبَـــابَ المجْــدِ في ذروتِــهْ
وعِــجْ عــلى الــوَادي تجِــدْ سُــوحَه ... واجمــةً تُفــصِحُ عـــن نكبَتِـــهْ
ولا تسلْ عما أصَابَ «القِرَينَ»[٢] ودَعْـ ... ـــهُ مطوِيّـــاً عـــلى لوعتـــهْ
ولا تقــل إلى «الأحقــاف» حــر العـزا ... ءِ وانْــعَ الأديــبَ «البَــارَ» في أمّتِــهْ
فجُرحُـــهُ أعمَـــقُ مِـــنْ وَصْـــفِهِ ... أوْ رُقيَـــةٍ تَـــشْفيهِ مِـــنْ علّتِـــهْ
وقُــل لهــا: يَــا «حــضْرَموتُ» احـزَني ... فقــد نــأى الــصدّاحُ عــن رَوضَــتِهْ
وصـــوّحتْ أغـــصَانُها بعـــدَهُ ... وأقفَـــرَ المعـــشِبُ مِـــن بَهجَتِـــهْ
وسَــكتَ الــشّادي الــذي طَالمــا ... هـــزَّ الـــرّوابي صـــوتُ قِيثَارَتِـــهْ
أيَــا غائبــاً قَــدْ بكَــاهُ الحجَــا ... والفهـــمُ والنبـــلُ ضُـــحَى غَيبتِـــهْ
تلـــكَ البـــشاشَاتُ وتلـــكَ الــرُّؤَى ... وروحُــــكَ الـــدّائمُ في نَـــشْوَتهْ

---

(١) ألقيتْ في الحفلة الكُبرى التي أقيمت بالمكلّا، (أقامتها «الندوة الموسيقية»)، بمناسبة مرُور أربعين يوماً على وفاة الفقيد، ونشرت في مجلة «الطّليعة» الحضرمية، (عدد ٣٠٠).

(٢) «القِرَين»: بِوادي دوعن؛ مسقط رأس الفقيد، (الشاعر).

والمــرَحُ المطبُــوعُ والخلُــقُ الــسمــ ـــحُ الــذِي كُوِّنــتَ مــن طِينَتِـهْ
كيف اختفتْ؟ كيفَ طواهَا الـرّدَى؟ ولفّهــا الــصّمْتُ بأحْبُولتِـهْ!
والهــفَ نَفْــسِي لحبيــبٍ مَــضَى ولرفيــقٍ خــفَّ في مِــشْيَتهْ
وغَــابَ عــن أنظارِنَــا فَجْــأةً في لحظَــةٍ كَــالبرْقِ في سُرعَتِـهْ
فاضْــطَرَبَتْ مِــن بَعــدِهِ حَالُهَــا وانفــرَطَ العِقْــدُ عَــلى رَبّتِـهْ
وخَــيَّمَ اللّيــلُ عَــلى دَرْبِنَــا فلــم نعُــدْ نقْــوَى عَــلى رُؤيَتِـهْ
كيــف وقــد كــان محــطَّ الرجَــاءْ وحَــادِيَ الرّكْــبِ إلى غَايتِـهْ
وكــان بــدرَ الــتّمِّ إنْ أظلَمَــتْ ونُزهــةَ الجُــلّاسِ في حَــضرَتِهْ
وشَــاهدُ الطّيبــةِ في سَــمْتِه ونقــرأ الإخــلاص في طلعتـهْ
طَلــقُ المحيّــا لكــأنّي بِــه توسَّــطَ الــسّامرُ في جِلْــسَتهْ
وهَــبَّ بــينَ الــصّحْبِ مُــسْتَرسِلاً جَرْيــاً عَــلى المــألُوفِ مــن عَادَتِـهْ
يَــا راحِــلاً عنّــا عــلَى غِــرّةٍ في فــترةٍ كالليــلِ في ظُلمَتِـهْ
أبكيــكَ مِــن قَلــبٍ صَريــعِ الأسَــى حَــيرانَ لـمَّــا يَــصْحُ مــن صَــدمَتِهْ
أبكيــكَ للإلهــامِ، للفَــنِّ، لــلإ بــداع، للفِكْــرِ، لحرّيتِـهْ
أبكيــكَ لــلآدابِ، للــشّعرِ في خَيالِــه الخــصْبِ ودِيبَاجَتِـهْ
أبكيــكَ للأحــرارِ في دَرْسِــهِم وللنِّــضَالِ الحــرِّ في حُوفتـهْ
أبكيــكَ للــشّعبِ لمــستَقبَلٍ يَرنُــو إليــهِ كُنــتَ مِــنْ عَدّتِـهْ
يَــوم يُنادينَــا مُنــادي الفِــداءْ ويفْــزَعُ الــشّعبُ إلى قادتِـهْ
مــن كُــلّ مَــاضٍ عزمُــه أصْــيدٍ تَخالُــه كاللّيــثِ في غَــضْبته
فخانَــت الأيــامُ تقْــديرَ مَــا نَرجُــو وغَــدْرُ الــدّهرِ مــن سُــنته

«حُـــسَينَنا» فَقــدُكَ أدمَـى الحَـشَا   وأخــرجَ العاقِــلَ عــن حِكمَتِــهْ
لكنّــه سَــهمُ القــضَاءِ الــذِي   لا نملــكُ الإفــلاتَ مــن رَمْيَتِــهْ
وهاكَهــا بعــضَ فُــرُوضِ الــوِلا   تحيــةَ المخلــصِ في عِــشْرَتِهْ
سَــفَحتُها مِــن كَبِــدي عَــبرَةً   والقَلــبُ مــن فَقــدِك في محنَتِــهْ

❊ ❊ ❊

إلَـى عَـنْـبَـرَ[١]!

حمَلَ إلينا (العددُ ١٤٧) من «**مجلة الرائد**» الغراء بالمكلّا، كلمةَ الوفاء في فقيد اللطف والظّرْف، المرحوم **بُوعبَيد**، جاشت بها خواطر أمين سره الخاص «**عنبر**»، وما «**عنبرُ**» هذا! غيرُ الأديبِ **الشاعر حسين بن محمد البار**، فإلى روح **بوعُبَيد**، وإلى أمين سره، تهدى هذه القصيدة:

عَــزاءٌ يُــذهِبُ الأحْــزانَ ... في مــولاكَ يــا «عَنْــبَرْ»
عــزاءٌ في فَقيــدِ التّبـــ ... ــرِ واليَــاقُوتِ والعَنْــبرْ
وفي مَــن ســكنَ القَــصْرَ ... وفي مَــن عــرَفَ العنــبرْ
وفي مَــنْ مَــدَّ ســلطاناً ... عَــلَى اليــابِسِ والأخْــضَرْ
وفي ربِّ الملايــــــينِ ... وفي جامعِهَـــا الأكــــبرْ
وربِّ الــصّحنِ ذي الحــولِ ... وذي الطَّــولِ وذي العَــسْكرْ
وذي الآيَــاتِ في الإقنَــاعِ ... كالـــصُّبحِ إذا أسْـــفَرْ
فمــن آياتِــه الكُــبرَى ... ومَــا لم نَــرَهُ أكــبَرْ
عَيانــاً أنّــهُ في لمحَــةٍ ... كَــالبرق أو أقْــصَرْ
يحيــلُ المــاءَ (بِــتْرُولاً) ... بِــه أســطُولُه يمْخَــرْ

---

(١) نشرت بمجلة «**الرائد**» الغراء، (الشاعر).

وإن أودِعَ (بِـتْرُولاً) تجلّى ذَهباً أَصْفَرْ
وإن ألقِيَ في بَحْرٍ جَرتْ أمَوَاجُهُ كَوثَرْ
وكَم سبّحَ لله وكَمْ صلّى وكَم كبّرْ
وكم عمّرَ في الأرضِ وكم طَارَ وكَمْ أبْحَرْ
ومن آياتِه: النطْقُ وكشفِ المغلَقِ المضْمَرْ
ومنهَا: أنّه ينهَى عنِ الفحْشاءِ والمنكر!
وأن يُنشي علاقَاتٍ معَ الأسْودِ والأحمرْ
وأن يبنيْ من الحلوَى قُصُوراً ومِنَ السّكّرْ
ويا من جَهِلَ الصَّحْنَ! فمَولاهُ بهِ أخْبَرْ!
وما الصَّحنُ سِوَى لُغزٍ لمنْ قَدّرَ أو فكّرْ
وما الصَّحنُ سوَى مُعجِزَ ةٌ تُفحِمُ مَن فَسَّرْ
وما الصَّحنُ سِوى سِرٍّ ببطْنِ الغَيبِ لم يُنشَرْ
ورزقٌ دونَها سَعي دحَاهُ الخالقُ الأكْبَرْ
إلى «بُوعُبَيدٍ» في يَومٍ فما استعلَى وما استكبَرَ!
أمينَ السِّرّ لا تحزَنْ ولا تَأسَ ولا تَضْجَرْ
فما الدّنيا وأهْلُوهَا سِوَى طيفٍ سَريعِ مَرّ
وكُنْ للرّاحلِ الأوّابِ نِعْمَ اللطفُ في المعشَرْ
وكُن في الأهْلِ ذا عَطفٍ وكن في تابِعيهِ بَرّ

* * *

مُعلِّمُ الجيلِ

في رثاء فَقيدِ العلمِ والعمَل، الفقيه المحقق، السيد علوي بن عبد الله السقاف؛ ١٣٩٢هـ:

فُقِـدَتْ بفقـدِكَ يـا أبَـا الأشـبالِ ... أسـمَى الرِّغَـابِ ومعظـمُ الآمَـالِ
ومشَى أولُو التقـوَى يعـزِّي بعـضُهم ... بَعْـضاً بـدمعٍ هاطـلٍ متَـوالي
شَـعُروا غـداةَ رحلـتَ أيَّ خـسارةٍ ... حلّـتْ وأودَتْ بـ«الحبيـبِ» الغـالي
وتلفتُـوا فـإذا المعاهِـدُ في وجُـو ... مٍ لاختفـاءِ مُعلِّـمِ الأجيـالِ
وإذا القـضاءُ وقَـد خلـتْ سَـاحاتُه ... مـن فقْـهِ هـذا العَـالم المفـضَالِ
مُتطلعـاً عمّـن يـسدُّ فراغَـه ... بالعَـدل والفُتيـا والاسْـتدلالِ
وغـزارةٍ في العِلْـمِ يُـترَكُ بعـدَها ... أثَـراً مـن الأقْـوالِ والأفعَـالِ
يـا سـيداً أجهـدتَ نفـسَكَ في انتهَـا ... جِ الـصّالحاتِ فـنَم قَريـراً سَـالي
واهنَـأ بـما قـدّمتَ مـن عمـلٍ لوجْـ ... ـهِ الله في حِـلٍّ وفي تَرحَـالِ
فلكَـمْ رعيـتَ مـن الـشبابِ طَلائعـاً ... كَـانوا سَـنا فِكـرٍ ورُسُـلَ معَـالي
وبنيـتَ للأخـلاقِ صرحـاً شـامخاً ... فتفيئُـوا مـن ظِلـهِ بظِـلالِ
وبنُـوكَ أكْـبرُ شـاهدٍ فـيما نقُـو ... لُ وهُـم لعَمْـرُ الحـقِّ خـيرُ مِثـالِ
و«المـسجدُ المعمـورُ» شِـدتَ بنـاءَهُ ... أسُـساً موطّـدةً وسَـمكاً عَـالي

وبــذلتَ فيــه مــن الجهُــود عَجائبــاً ووقفْــتَ منــه مواقــفَ الأبطَــالِ
ولــئنْ لقيــتَ عَوائقــاً؛ فطريــقُ كُـــ ـــلِّ مجــدّدٍ مــا كــانَ يومــاً خَــالي
والنــاسُ منـــذُ عــرفتُهم وخَــبَرتُهم يحيَـــون بــينَ مُعــارِضٍ ومُــوالي
حتـــى إذا أزفَ الفُـــراقُ وحَــانَ أن يقــفَ الــسُّرَى بالفَــارِسِ الجــوّالِ
أسْلمْتَ في «مصْرَ» العِنـانَ وكـمْ بهـا مــن صَــالحِ ألقَــى عــصَا التِّرحَــالِ
حيثُ «**الإمـامُ الـشافعي**» و«**زينـبٌ**» ومقـــامُ «**ســـيِّدنا شَـــهيدِ الآل**»
سِــبطُ الرسُــولِ ابــنُ البتـولِ ويـا لَـهُ ممَّـــا تحمّلـــهُ «**الحــسَينُ**» ويَـــا لِي!
وهنــاكَ ودعْــتَ البــسيطةَ راضــياً وذهبـــتَ مرْضِـــياً خَـــليَّ البـــالِ
ورحلْــتَ تبكيــكَ الــديارُ وأهلُهَــا وأوْلُـــو النُّهَـــى وجَلائِـــلُ الأعْـــمالِ

* * *

فقيدُ المنابرْ

في المرحوم العلامة السيد سالم بن علوي خرد؛ ١٥/ ٤/ ١٣٩٨هـ:

أيـــنَ وليـــتَ يـــا فقيـــدَ المنـــابرْ؟ يـــا أخَـــا الـــوعظِ يـــا جليـــلَ المـــآثرْ!
يا ابنَ علَويْ هـل ضـقتَ بالنـاس ذرْ عـاً فـشددْتَ الرحـالَ عـنهم مُـسافرْ
عـــشتَ فـــيهِم تـــدعُو إلى الله دهْـــراً شَـــــاعراً أو محـــــدِّثا أو مُحـــــاضرْ
فـــإذا هُـــم يخـــادعون ويبغُـــونَ ويُبْـــدونَ غـــيرَ مـــا في الـــسّرائرْ
كنـــتَ فينـــا نـــوراً يـــضيءُ دياجيـــــنا وغادرْتَنـــا كطيـــفٍ عـــابرْ
وتركـــتَ النفـــوسَ كلْمَـــى حيـــارَى ورســـمْتَ الأسَـــى عـــلى كـــلِّ خـــاطرْ
فنعتْـــكَ الجمـــوعُ مـــن كـــلِّ ســـنٍّ وبكتْـــكَ القلـــوبُ قبـــلَ المحـــاجِرْ
لا رعَـــى الله ســـاعةً قـــد فقـــدْنا بينهـــا المرشـــدَ الأديـــبَ الـــشاعِرْ
وخـــسِرنا معلـــماً دمِـــثَ الأخـــــلاقِ جـــذّابها رقيـــقَ المـــشاعرْ
أنجبتْـــه تـــريمُ مـــوطنُ أهـــلِ الـــــعلم والفـــضْل كـــابراً عـــن كـــابرْ
وارتوَى مـن معينهـا العـذْبِ فاشـتدَّ تْ قُـــــواهُ بـــــصيرةً وبـــــصائرْ
ومـــضَى في حياتـــه ينـــشُد الخيـــــرَ مريـــداً عـــلى خطَـــى القـــومِ ســـائرْ
ينـــشرُ العـــرفَ والفـــضيلة والإيـــما نَ والعلـــمَ بـــين بـــادٍ وحـــاضرْ
معلِنـــاً رأيَـــهُ جريئـــاً شُـــجاعا لا يبـــالي في دربـــهِ بالمخـــاطرْ

هاهُنـا كـان يمـلأ الحفـلَ بـين الـ ـــناسِ إمـــا مـــذَكِّرا أو ذاكـــرْ
أو منيبـــاً مــــرتِّلا لكتـــابِ الله في نغمــــــةٍ تهــــزُّ المـــشَاعرْ
لم يـــزلْ صـــوتُه الـــشجيُّ لـــه مـــا بـــين أســـماعِنا رَنـــينٌ سَـــاحرْ
هاهُنـــا كـــان يبـــذلُ النـــصْحَ في الله فيحْيـــي بـــه مـــواتَ الـــضّمائرْ
فـاذكروهُ بـالخير وارجُـوا لـه الرحـ ـــمةَ والعفْـــوَ مـــن كـــريمٍ غـــافرْ

* * *

رِثَاءُ الجفْري(١)

«السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته

سادتي ..

إن مقامَ الفقيد لعظيمٌ جدا، وعظيمٌ عليَّ أن أفي بشيء أو ببعضِ شيء من حقه، ولكنني قد ترجمتُ شعوري وإحسَاسي إزاءَ فاجعةِ فقْدِه وموتِه ببعضِ أبياتٍ، لعلها تعبر عن بعض ما أنا أقاسيه»:

عنـدمَا يرسـلُ القـضَاءُ سِـهامَهْ ... لا يفيـدُ الأسَـى وعُمْـقُ النَّدامـةْ
لا تَـسلْني عـما جـرَى فقـضَا ... ءُ الله فينَـا منفّـذٌ أحكامَـهْ!
لا تَـسلْ مـا دَهـى طُيـورَ الـرَّوابي ... وأغاريـدَها وسـجْعَ الحمامـةْ
لا تسلْ كيفَ صوّح الزهْـرُ في الحقْـ ... ـلِ وقـد شَـمَّ في الـدُّجَى أنسَامهْ
لا تـسلْ كيـفَ خـيَّم الليـلُ صـبْحاً ... في حمانـا وجفَّـت الابتِـسَامةْ
وترفَّـقْ بنَـا فإنَّـا فقـدْنا ... بطـلاً يـصغُر الكثِـيرُ أمامَـهْ
وعظـيماً أمـلَى عـلى عارفيـهِ ... وذوي الـرأي حبَّـهُ واحترامَـهْ
في حمَـى الأزهَـرِ الـشَّريف تغـذَّى ... وسُـقي في تَـريمَ كـأسَ المدامَـةْ

---

(١) من الكتاب الوثائقي الذي صدر بعد مرور أربعين يوما على وفاة السيد محمد علي الجفري، وتضمن فعاليات المشاركات في تأبين ورثاء الراحل الكبير: ص١٠٧-١٠٨.

مـن رعيـلٍ مُواجِـهٍ لـيسَ ممَّـنْ　　إن دعَـا الخطـبُ يـؤثرونَ الـسلامةْ
بـل عهِـدناهُ في المواقـفِ مِقْـدا　　مـاً عـلى الـدرْبِ لا يهـابُ ملامـةْ
وإذا الجمـعُ ضـمَّ نخبـةَ فكـرٍ　　ورأى الـرأيَ قـد عـلا واحتدامَـهْ
هـبَّ يلقـي الحـديثَ عـذْباً بليغـاً　　آخِـذاً قبـلَ كـلِّ فـردٍ زمَامـهْ
وتجـلّى بطلعـةٍ تـتجلَّى　　بتقاسِـيمها صـفاتُ الزعامَـةْ
عـاشَ مـا عـاشَ للـبلادِ وأعطَـا　　هَـا هـواهُ وحبَّـه وهُيامَـهْ
هـيَ حـسناؤُه الوحيـدةُ لا ليـ　　ـلَى ولا بنـتَ عمِّهـا سـلاّمةْ
في هواها ضحّى ومـن أجلِهـا استبـ　　ـدلَ عـيشَ العَنـا بطيـبِ الإقامـةْ
ومـضَى في المنفَـى يـروحُ ويغْـدو　　ويقـاسي في غبطـةٍ آلامَـهْ
زادُه خدمـةُ القـضيةِ والإيـما　　نُ بـالله والحقـوقُ المرامَـةْ
كـان لا يـستقرُّ في بلـدٍ إلا　　وقـدْ خـطَّ في سِـواها مُقامَـهْ
داعيـاً عارضـاً حكايـةَ شـعْبٍ　　نـصَبَ الظلـمُ في رُبـاه خِيامَـهْ
وجثَـا فـوق صَـدرِه أجنبـيٌّ　　عـاقَ إنهاضَـهُ وغـذّى انقـسَامهْ
فتـصدّى فقيـدُنا وطنيـاً　　رافـعَ الـصوتِ نـاشراً أعلامَـهْ
وتـساعَى إلى نـداهُ ولبّـا　　هُ رجـالٌ يقـدِّرون مهامَـهْ
وغـدتْ في الجنـوبِ رابطـةٌ صَـا　　غـتْ لأُولَى نِـضاله أنغامَـهْ

❊ ❊ ❊

فهـرس المحتـويـات

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٥
من فيض الذكريات المكية	٩
أنا ورفيق العمر	١٥
حياة الشاعر	١٩
رثاء الشاعر	٢٥
كلمة عن الشعر العربي	٢٧
ورقة إلى القارئ	٣٧
المديح النبوي	٣٩
في رحاب رسول الله	٤١
أمام الحجرة الشريفة	٤٣
من وحي ذكرى المولد الشريف	٤٥
شد الرحال	٤٨
تحية المولد النبوي	٥٠
حبيبي رسول الله	٥٢
اليوم يوم المصطفى ﷺ	٥٤
في مولد رسول الإنسانية ﷺ	٥٦
تحية المولد النبوي الشريف	٥٨

الموضوع	الصفحة
روحانيات	٦١
في جبل عرفات	٦٣
ختم صحيح البخاري	٦٥
في فناء البيت العتيق	٦٧
حضرة البار	٦٩
وطنيات	٧١
منطق الغاب	٧٣
تحية الرائد	٧٤
صحافة حضرموت	٧٦
يا حضرموت	٧٨
فيتو!	٨٠
الحضارم	٨٢
دفاعا عن الإسلام والعروبة	٨٥
نشيد	٨٧
تحيةٌ	٨٨
الجزائر	٩٠
يوم العروبة	٩٣
لا كنت من أمة تحيى بلا غضب!	٩٥
حريق المسجد الأقصى	٩٨
لبنان!	٩٩
ألا هيًّا إلى القمة!!	١٠١
سنخوضها!	١٠٤
زلزال اليمن	١٠٦

الموضوع	الصفحة

اجتماعيات ١٠٩
تهنئةٌ ١١١
شاعر الثقلين ١١٣
لحية أبي حاتم ١١٥
تهنئةٌ ١١٦
بين الخبر والعيان ١١٧
إلى الصديق باريان ١١٨
وارث السر ١١٩
زين المحافل ١٢١
في مهرجان الشاطري ١٢٣
سلوى ١٢٥
إلى البيض ١٢٦
تحية لابن لادن ١٢٨
من لندن ١٣٠
طوفان دوعن ١٣٢
من وحي أسمرة ١٣٤
مجلة الجنوب العربي ١٣٦
تهنئة من القلب ١٣٧
أنت في الفضل وحيد ١٣٩
بعدك بعد ١٤١
أبا طارق! ١٤٣
إنه الكسل ١٤٥

الموضوع	الصفحة

تهنئةٌ ١٤٧
كيف تسيء الظن! ١٤٩
أوال ١٥٠
يا عازفاً ١٥٢
ماذا أردت بنشر شعرك؟ ١٥٣
إلى معجب ١٥٥
ما للكهانة ١٥٧
سلامات ١٥٩
لم تفد صحبة ١٦١
أقبلت ١٦٢
ويلي منك يا غيثان ١٦٦
غزليات ١٦٩
ناعسة الطرف ١٧١
أمير الهوى ١٧٢
دعها تثور ١٧٣
رجع الأمنية ١٧٥
إلى جيرة المنحنى ١٧٧
شعري ١٧٨
إيطالية ١٨٠
لا تلمني ١٨١
متفرقات ١٨٣
القمر الروسي ١٨٥

الموضوع	الصفحة

أيها القمر! ١٨٧
وجه الحقيقة ١٨٩
موتوا بغيظكم ١٩١
الخليج العربي ١٩٢
مراثي ١٩٣
رثاء والدة الشاعر ١٩٥
جدي ١٩٧
فقيد حضرموت ١٩٩
فقيد الفضائل ٢٠١
فقيد الشعب ٢٠٣
إلى عنبر ٢٠٦
معلم الجيل ٢٠٨
فقيد المنابر ٢١٠
رثاء الجفري ٢١٢
فهرس المحتويات ٢١٥

❊ ❊ ❊

الشاعر في سطور

هو الشاعر الحر الأديب السيد أحمد بن علي بافقيه، العلوي الحسيني. مولده في وادي دوعن بحضرموت، في بلدة (القرين) سنة ١٣٤٣هـ.

طلب العلم على شيوخ بلده، وأكثر شيوخه تأثيراً فيه السيدُ العلامة طاهر بن علوي الحداد، وكذلك أستاذه السيد حسين بن محمد البار.

عاش مغترباً في أرض الحبشة سنين طويلة، وتردد إلى وطنه خلال ذلك مراتٍ كثيرة، ثم كانت هجرته الأخيرة إلى السعودية حوالي عام ١٣٧٢هـ، وبقي في أجوائها متنقلاً في الوظائف إلى أن وافاه أجله بين أولاده في مدينة جدة سنة ١٤٠٨هـ، رحمه الله تعالى.

ليس له من الآثار الأدبية سوى شعره الذي جُمع بين دفتي هذا الكتاب، وهو شعر عربي فصيح رصين، فيه الكثير من الحيوية، مع متانة الأسلوب، وقوة العارضة، ندع القارئ ليمخُرَ عُباب هذا الديوان ويتذوّقَ معانيه، ويتلَمّسَ أحاسيسَ ناظمه.

9 789957 231378

دار الفتح للدراسات والنشر
www.alfathonline.com

تلفاكس ١٩٩ ٤٦ ٤٦ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب ١٨٣٤٧٩ عمّان ١١١١٨ الأردن
info@alfathonline.com